

# برخیز الحمر



تشریح سیاسی

الدكتور

فؤاد عبد السلام (لغوسي)



# در علم الحصر

تشریح سیاسی

الدكتور

فؤاد عبدالسلام الفارسی







## السلام

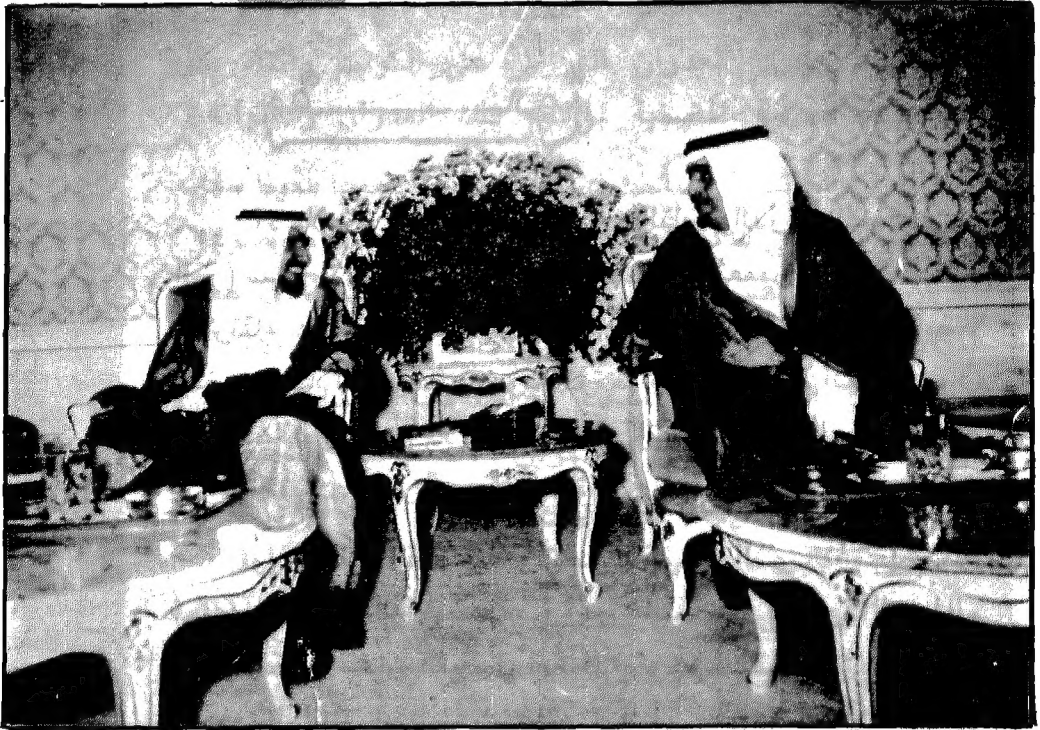
- إلى ذكرى الراحل العظيم الملك عبد العزيز آل سعود ، مؤسس الدولة السعودية الحديثة .

- وإلى محقق مجد هذه الدولة الفتية وباني نهضتها الذي تعلق به قلوب أبناء شعبه بمثل ما تعلق به آمال الشعوب المحبة للعدل والسلام . خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود . أهدى هذه المجموعة المتواضعة من المقالات التي ضمها هذا الكتيب ، والتي كنت قد نشرتها إبان أخطر محنة عرفها التاريخ العربي والإسلامي في عصره الحديث ، والمعروفة بالاحتلال العراقي للكويت ، أو أزمة الخليج ( أغسطس ٩٠ - فبراير ٩١ ) . . وكان ذلك تعبيراً عن مشاعري كمواطن عربي مسلم تجاه الحادث ، وإسهاماً في إلقاء المزيد من الأضواء الكاشفة على ملامساته وآثاره المأساوية . لعل في ذلك ما يساعد على توفير الرؤية الأوضح نحو معرفة أسباب وحجم الكارثة والعمل على الحيلولة دون تكرارها . ولا يفوتني هنا أن أؤكد قناعتى التامة بأن الفضل الأول في تجاوز هذه المحنة ( من بعد الله ) ، كان للملك فهد بن عبد العزيز ، الذي يسعدنى ويشرفنى أن يتقبل هذا الأهداء ، كتعبير عن شكرى ، وتقدير لقيادته الحكيمة والشجاعة من جميع المخلصين والمحبين للسلام . سائلاً الله جل وعلا أن يجزيه عنا خيراً ويسدد خطاه . إنه سميع مجيب . .

فؤاد عبد السلام الفارسي



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد  
بن عبد العزيز ولقاءات متجددة مع اخيه  
الرئيس محمد حسنى مبارك بشأن قضايا الامة  
العربية والإسلامية



ولقاءات اخويه اخرى بين خادم الحرمين  
الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وسمو  
الشيخ جابر الاحمد الصباح بشأن نفس  
القضايا المصرية .

## مقدمة

الإعلام ، كما يقولون ( مثل النار والذرة والسكين . . الخ ) سلاح ذو حدين ، يمكن استخدامه للتعمير كوسيلة للتقدم والارتقاء على سلم التحضر البشرى ، ويمكن استخدامه أيضا للتخريب كأداة للهدم وتشويه كل ما هو جميل فى الحياة . وفى كلتا الحالتين يكون للإعلام فاعليته وتأثيره تبعاً لما يقف وراءه من امكانيات بشرية ومادية وتقنية .

وإذا كان الفيصل فى تحديد الوجه الذى يستخدم من أجله السلاح ( أى سلاح ) هو صاحب القرار السياسى أو العسكرى ، فإن الفيصل فى تحديد وجه استخدام الإعلام هو ضمير الكاتب أو الباحث ذاته . فليس من شك أن النفس البشرية تتنازعها عوامل الخير والشر معا ، ولكن الغلبة لأحدهما تتوقف على أخلاقيات الكاتب وضميره . فكم من دولتين صديقتين متحابتين أفسد العلاقة بينهما قلم جاهل أو مغرض شرير . وكم من شقاق بين دولتين زال وانتهى بسلام وحل محله الوفاق والوئام نتيجة لكلمات مخرصة وافية خطها قلم شريف .

ومن هنا كانت مسئولية الكاتب وواجبه المهنى والأخلاقي تجاه ضميره ثم تجاه أولئك الذى أنتمنوه ووثقوا به . ومن هنا أيضا كان إحساسى ، بعبء مسئوليتى تجاه القارئ عندما كنت أكتب هذه السلسلة من المقالات ، التى نشرت بجريدة

« الأهرام » حول العدوان العراقي على الكويت وأثناء بذل المحاولات الدولية المضنية لمعالجة ذلك العدوان واحتوائه .

ذلك أن الكاتب أو الباحث عندما يتناول موضوعا معينا ، فإنه بالطبع يركز على عدد من الأسس والقواعد المتصلة بموضوعه . إلا أن صدام حسين ، والذي كان محور الحديث في معظم المقالات ، خرج عن كل المعايير الانسانية والمقاييس الأخلاقية والبدهييات العقلانية والمنطقية في تصرفاته الشاذة ، بصورة أربكت حسابات المحللين والمفكرين . إذ لم تكن لتشفع أمام جبروته وطغيانه صرخات الرضع ودموع الثكالى واستغاثة الجرحى والأبرياء . ولم يسلم من بطشه طائر أو حيوان في البر والبحر والجو على حد سواء ، بل أنه يعد من أوائل الذين اغتالوا البيئة دون رادع من عقل أو خلق أو ضمير .

وعلى الرغم من كل ذلك . ومع أنه لا يختلف اثنان على أن جرائم صدام حسين فاقت كل خيال وبصورة ألّبت مشاعر الغضب في نفس كل انسان ، إلا أن أمانة الكلمة ومسئولية القلم ، فرضت على كاتب هذه المقالات أن يمارس أكبر قدر من ضبط النفس ويتوخى في تناولها أقصى درجات التجرد والموضوعية والحياد .

والله من وراء القصد . وما التوفيق إلا من عند الله ، ،

**المؤلف**



الكتاب

١

كابوس الخميس الأسود  
واللاعبون بالنار







### اختلفت

الآراء وتعددت الاجتهادات حول فهم وتفسير الحادث الغريب الذى وقع قبل فجر يوم الحادى عشر من شهر المحرم ١٤١١ هـ الموافق للثانى من أغسطس ( آب ) ١٩٩٠ م عندما قام الجيش العراقى فجأة ، وفى سابقة لا يعرف التاريخ المعاصر لها مثيلا ، بغزو خاطف لدولة الكويت أتبعه بعدد من الاجراءات الأشد غرابة تمثلت فى عزل الحكومة الشرعية للكويت ومصادرة أموال وممتلكات الأسرة الحاكمة والاستيلاء على مصادر الثروة الوطنية ونهب الأموال الأهلية من المصارف والمتاجر ثم إلغاء الوجود الكويتى نفسه بدمجه فى العراق لتصبح دولة الكويت جزءا من كيانه السياسى وتقسيما اداريا تابعا لإحدى محافظاتة .

وهكذا ، ودونَ وازع من ضمير أورادع من الاحساس بحق الأخوة والحوار أوخوف من الله أو احترام للشرعية التى استقرت عليها الأعراف الدولية . قام الرئيس العراقى صدام حسين ، وببساطة شديدة ، بمحو دولة مستقلة من الوجود . دولة ذات سيادة تتمتع ( مثل العراق تماما ) بعضوية جميع الهيئات والمنظمات الدولية .

ولقد وصف بعض المراقبين هذا التصرف 'الأخرق بالحمق والغباء' الناجم عن جنون العظمة وخلل في التوازن النفسي واقتدار شديد لأبجديات التفكير المنطقي السليم بما يتناسب مع مسئوليات الحكم . فيما يرى البعض الآخر أنه عمل غادر لثيم وسطو مسلح بأسلوب قطاع الطرق والارهابيين المحترفين المقترون ( كالعادة ) باحتجاز الرهائن للابتزاز والاحتفاء خلف ظهور العزل من المدنيين الأبرياء من النساء والأطفال .

وهكذا ينقسم الرأي حول قضية الغزو العراقي للكويت بين فريق يقول بأن مدبر هذا الغزو ومنفذه شخص مافون ومريض يعاني مركبات نقص حادة تخضع تصرفاته بغير إرادة منه لتأثير العقد النفسية . بينما يقول فريق آخر بأنه عمل إجرامي مدبر ومتعمد ومرتكب عن سابق تصور ، ولزمن يتجاوز العامين ( عمر مجلس التعاون العربي ) .

أما أهل الاختصاص فيرون أنه لا خلاف ولا تناقض بين الفريقين فيما لو نظرنا إلى القضية في ضوء التكوين النفسي للرئيس الراقى صدام حسين ، آخذين في الاعتبار أبعاد شخصيته السيكوباتية التي تجمع بين كل هذه الصفات في وقت واحد . وبالمناسبة فلست أنا صاحب التعبير السالف الذكر ولا من أطلق هذا الحكم على الرئيس صدام حسين ، وإنما الذي قام بذلك هم خبراء في السياسة الدولية ومحللون نفسيون اهتموا بدراسة الحالة عن كثب .

إن التصرف الهمجي والسلوك البربري المجرد من كل مظاهر الرحمة والانسانية الذي أقدم عليه الرئيس العراقي بغزوه للكويت وحشده لقواته على الحدود السعودية ، يعد في الواقع أعنف ضربة وجهت لمسيرة الحضارة الانسانية والتقدم البشري ، وأخطر عقبة وضعت في سبيل الجهود الرامية لإقرار الأمن والسلام الدوليين ، وهي الجهود المتصلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى الآن .

فلقد كان الاعتقاد السائد أن العالم - بعد تشييعه لهتلر في عام ١٩٤٥ - تخلص بشكل نهائي من آخر الحكام الطغاة أصحاب العاهات النفسية المتعطشين للدماء . لهذا كان الخطب جللا والأمر خطيرا وباعثا لأعمق مشاعر القلق حتى لأولئك الذين لا يمكن احتسابهم من الأصدقاء القائمين أو المحتملين للعرب في أي وقت من الأوقات .

ذلك لأننا لو تصورنا جدلاً أن كل دول العالم ( عدا دولة واحدة فقط ) كان لديها من الأسباب ما يدعوها لكرهية الكويت أو المملكة العربية السعودية ، والدوافع التي تجعلها تتحين الفرص أو تختلق الذرائع للعدوان عليها أو مناوأتها أو محاولة الإساءة إليها بأى صورة من الصور . ثم سألنا أى عابر سبيل عن اسم هذه الدولة المستثناة من بين كل دول العالم . فسوف تكون الاجابة الفورية التي لا تحتاج لإمعان التفكير ، هي العراق ..

فطبقاً لما يقتضيه منطق الأمور ، لا بد وأن يكون العراق هو أكثر دول العالم إخلاصاً ووفاء وتقديراً لدول الخليج وفي مقدمتها الكويت والمملكة العربية السعودية . ليس فقط لأسباب معنوية أو عاطفية تتمثل فيما يربطه بهذه الدول من روابط الحوار والتاريخ والأخوة العربية ووحدة التراث واللغة والدين الخفيف الذى يأبى الظلم والغدر والطغيان . بل وأيضاً لأسباب مادية وموضوعية يدركها الصغير قبل الكبير وكل ذى شرف وضمير .

فما هو معروف للعالم أجمع أن دول الخليج هبت ، ويدافع من نخوتها العربية وضميرها الاسلامى ، لنجدة العراق ولإنقاذه من هزيمة منكرة ومصير مظلم كاد أن ينزلق إليه فى مرات عديدة خلال سنوات حربه ضد إيران والحيلولة دون تمكين الأخيرة من تحقيق مطالبها التي كان فى مقدمتها إسقاط نظام الرئيس العراقى صدام حسين .

ولم يقتصر ما قدمته المملكة ودول الخليج للعراق طوال سنوات الحرب الثمانية على الآلاف من ملايين الدولارات التي كانت كافية بحد ذاتها لتمكين هذه الدول لو أرادت من امتلاك ترسانة من الأسلحة الخاصة بها تفوق ما يمتلكه الجيشان المتحاربان معاً . غير أنها أثرت العراق وكرامة العراق واستقلال العراق على نفسها ، بل وفتحت له موانئها ومطاراتها وسخرت لمجهوده الحربى والمدنى كل ما كان العراق بحاجة إليه من طرق مواصلات وتسهيلات وأمدته بما كان ينقصه من السلاح والبتترول وقدمت له الحد الأقصى من الدعم السياسى والإعلامى وتحملت فى سبيل وقوفها بجانبه كل أنواع المكاره من جانب النظام الإيرانى الذى كان يقوم ، كما يعرف العالم ، بأعمال انتقامية ضدها كتلغيم الممرات الملاحية التي تستخدمها للإضرار باقتصادياتها وأيضاً باعتراض السفن ومحاولات العدوان المباشر واختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن واغتيال الدبلوماسيين ... الخ .

لمثل هذه الأسباب ، ولكثير غيرها مما لا أرى ضرورة للتعرض له جملة وتفصيلاً . كان العراق من وجهة النظر العربية والعالمية والإنسانية والأخلاقية ، آخراً في العالم يمكن تصور أن تكون معادية لدول الخليج . بل على العكس من ذلك ، فقد كان الاعتقاد السائد أن العراق سيكون أول المدافعين عن أى من هذه الدول فيما لو تعرضت لعدوان . خصوصاً وأن الرئيس العراقي حرص دائماً على أن يؤكد هذا المعنى بنفسه في العديد من المناسبات . وحسبى أن أستشهد هنا ببعض الفقرات التي وردت في صلب المرسوم الجمهوري العراقي رقم ١٦٦ الصادر بتقليد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أرفع الأوسمة العراقية ، وهو وسام الرافدين من الدرجة الأولى تقديراً لمواقفه حفظه الله مع العراق حكومة وشعباً خلال حربه ضد إيران . حيث نقرأ الآتي :

.....

« وكانت مكانة أخينا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في مقدمة القادة العرب الذين بذلوا المال سخياً وأسهموا في وضع السلاح في أيدي مقاتلي قواتنا المسلحة بكرم عظيم لم يرتق إليه في ميدانه كرم على الإطلاق . فضلاً عن كرمه في الميادين الأخرى » .

« ففي سنوات الحرب الأولى لم يكن العراق منتجاً للسلاح وكان كل السلاح الذي يحتاجه في المنازلة يشتري من الأسواق العالمية . . . ولأن المنازلة استمرت ثمانى سنوات فقد أتت أو كادت تأتي على كل ما كنا نمتلك من العملات الأجنبية وكنا كلما احتجنا إلى المعاونة بعثنا من يعرض على أشقائنا حاجتنا وكان أكثر ما يسر نفوسنا أن ينقل إلينا المبعوثون ما كانوا يلمسونه من نخوة أخينا الملك فهد . . » .

« وكان من جملة تدابيرنا لمواجهة الحصار الاقتصادي الذي فرضته ضدنا إيران ، مفاخرة أخينا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حول إمكانية مد أنبوب لنقل النفط العراقي عبر الأراضي السعودية باتجاه البحر الأحمر . . . وكانت موافقة أخينا الملك فهد فورية . بل ولقد وضع أخونا الملك ميناء القضيمة بكامله تحت تصرف العراق لتأمين احتياجاته بدون عوائد ، كما كان الإخوة في المملكة ينقلون تلك الاحتياجات على نفقتهم حتى وصولها إلى

المخازن داخل العراق . وكانت تلك التدابير ذات تأثير سياسى ونفسى واقتصادى على ميدان المعركة » ..

ومن هنا كانت الدهشة بالغة والذهول تاما عندما صبحا الناس ذات صباح ، هو بالتحديد صباح يوم الخميس الثانى من أغسطس ١٩٩٠ ، ليجدوا الرئيس العراقى المغوار على رأس جيشه المهيب ( جيش قادسية صدام ) وهو يقرع بأعقاب البنادق أبواب الأياى الغافلات النائمت فى بيوتهن بمدينة الكويت ، ويقتحم ببسالة نادرة وحماس منقطع النظير غرف النساء والأطفال ثم يستعرض أمام الجميع ، بزهو بالغ وإتقان المهرة من المحترفين ، قدراته الفذة على فتح الخزائن الفولاذية للبيوت والمصارف والمتاجر بسهولة وسرعة تحطف الأبصار .

لقد فجر العدوان العراقى على الكويت عددا كبيرا من القضايا الخطيرة وطرح الكثير من التساؤلات الهامة حول مستقبل العلاقات الدولية فيما بعد زوال هذه الغمة بحول الله ، والتي يتعين أن نبحث لها عن إجابات شافية منذ الآن .

فهناك على سبيل المثال لا الحصر ، سؤال عن آثار وانعكاسات الغزو العراقى على القضايا العربية ؟ .. وسؤال آخر عن مستقبل التضامن العربى فى ضوء ما تمخضت عنه محاولات معالجة القضية فى الإطار العربى ؟ .. وهناك كذلك سؤال ملح وبالع الأهمية حول استخدام ، أو على الأصح سوء استخدام ، بعض الحكام للمشاعر الدينية للمسلمين ؟ ...

وفىما يتعلق بالسؤال الخاص بانعكاسات الغزو العراقى على القضايا العربية فمن الواضح أن هذا الغزو قد صرف النظر تماما عن القضية الفلسطينية التى ظلت تمثل الشغل الشاغل لدول المنطقة ولقطاع كبير من الرأى العام العالمى طوال الأربعين سنة الماضية ، ليس فقط على المستوى العربى وإنما أيضا على المستوى العالمى وبصورة أخشى معها من أن يكون هذا الغزو قد عاد بهذه القضية (رضينا أم أبينا) الى بداياتها الأولى .

كما يلاحظ أن التأثير السلبى للغزو لم يقتصر على الجانب الإعلامى فقط هذه القضية وإنما يمتد أيضا الى الجانب الموضوعى المتعلق بقناعة الرأى العام العالمى بمدى مشروعية الاحتلال من وجهة نظر العالم العربى عامة ومنظمة التحرير الفلسطينية خاصة .

كذلك فإن هذه الغزوة وجهت ضربة موجعة للانتفاضة الفلسطينية التي كانت تعد الوجه المشرق للقضية الفلسطينية وكادت أن تؤق ثمارها الطيبة بعد أن روتها الدماء الزكية لشهدها الأبطال على مدى ثلاث سنوات متصلة . تماما كما أهدرت هباء دماء مئات آلاف العراقيين الذين راحوا ضحية الحرب العراقية الإيرانية لغير ما قضية .

واستكمالا لأبعاد الصورة الحزينة للمآثم العرب والعرس الصهيوني ، فقد شنت الغزو العراقي البربري للكويت ، وبأسلوب الذى تم به والنتائج التى انتهى إليها ، انتباه الرأى العام العالمى تماما عن جريمة الهجرة الجماعية من روسيا إلى إسرائيل بالإضافة إلى اهتزاز قناعته بشدة ( أى قناعة الرأى العام ) بأن إسرائيل هى التى تشكل خطورة على السلام فى المنطقة وخلق الشك فيما إذا كان العرب جديرين فعلا بأن يُسمح لهم بامتلاك أسلحة الدمار الشامل مثلما سُمح لإسرائيل وغيرها ..

وبالنسبة للتساؤل الخاص بمستقبل التضامن العربى بعد انقشاع غبار الزلزال الذى أصاب المنطقة مؤخرا وزعزع العديد من الأسس والقواعد التى تقوم عليها العلاقات الدولية عامة والعلاقات العربية خاصة . فيكفى المرء أن يُمعن النظر قليلا فيما يعنيه قيام دولة عربية بغزو دولة عربية أخرى وابتلاعها بهذه الصورة الوقحة التى لم تجرؤ أعنى قوى الاستعمار العالمى على الإقدام عليها . ثم لنسأل أنفسنا سؤالا بسيطا ، أوحى ساذجا ، عما إذا كان من الممكن اعتبار هذا العمل شكلا من أشكال التضامن المعروفة أو صورة من صوره الحديثة المطورة ؟ . أم أنه الدليل المادى على أن هذا التضامن لا وجود له إلا فى البيانات الرسمية أو فى المقالات الصحفية وعلى ألسنة الخطباء ؟ ..

كذلك فقد رأينا كيف أظهرت الجهود المبذولة لمعالجة هذه الأزمة فى الإطار العربى من أن هناك تفككا خطيرا واختلافا فى الرأى والنوايا بين الدول العربية وصل إلى حد قيام بعضها بافتعال الخلافات الجانبية وإثارة القضايا غير الجادة وتقديم المقترحات غير المنطقية ، فى محاولة واضحة ومربية لتعطيل فاعلية التضامن العربى إزاء المشكلة ولوفى صورته اللفظية البهجة المتمثلة فى مجرد إصدار بيان استنكار للغزو ومطالبة المعتدى بالانسحاب ..

وأيضا لما تبين من استخفاف الرئيس العراقى بكل قيم الأخوة وازدراؤه للجهود العربية المخلصة والنداءات الموجهة اليه والتى كادت أن تصل إلى حد

التوسل ، بأن يعيد النظر في موقفه لينسجم مع الحق والشرعية ، بل والأهم من ذلك ليحقق دماء المسلمين ولإنقاذ العراق من مصير مؤلم يوشك أن ينزلق إليه . . فهل بعد كل هذا شك في أن تضامنا حقيقيا لم يكن موجودا ؟ . ثم إذا كان قد ثبت أن التضامن لم يكن موجودا أصلا ، أو أنه كان موجودا ولكنه اخترق وانتُهِك ومُزق مثلما مُزقت اتفاقية الجزائر . . فهل من المنطق أن نبحث في مستقبل شيء لم يكن موجودا أو لم يعد موجودا ؟ . لذا فإن الأجدى في تقديري أن نبحث عن صيغ جديدة للعلاقات العربية والتضامن العربي منذ الآن وإلى أن يهبنا الله القدرة اللازمة لتحقيقه .

أما عن التساؤل الثالث والخاص بظاهرة استخدام الدين في التفرير بالمسلمين وتوظيف عواطفهم الإيمانية لخدمة أغراض دنيئة لا صلة لها بالدين على الإطلاق . فلقد كنا نظن بأننا استرحنا من الحمى الذي كان يعلق المفاتيح في رقاب الأطفال قبل أن يدفع بهم إلى حقول الألغام ليفتجوا بها أبواب الجنة فور انتقالهم إلى الآخرة ، ولكن يبدو أننا كنا واهمين ، حيث خرج علينا الرئيس العراقي مؤخرا ، وهو بعد لم يغسل يديه من دماء المسلمين من أبناء الكويت الأبرياء وحتى من أبناء العراق ، لينادي بالجهاد باسم الاسلام .

ومع أنني لا أعرف الطريقة المناسبة لمواجهة هذه الظاهرة بما تستحقه وبما يكفي للقضاء عليها : الا أنني أود أن ألفت الانتباه إليها مؤكدا انعكاساتها السلبية البالغة الخطورة ليس على المسلمين فقط ، وإنما على الإسلام نفسه عن طريق اتخاذه وسيلة لتضليل المسلمين واستغلال حماسهم الإيمان فيما لا صلة له بالدين مما يهز ثقتهم ويسئ إلى سمعتهم ومصداقيتهم أمام الرأي العام العالمي .

وحتى لا يأتي من يتهمنى بالتحاميل على الرئيس العراقي فيما يتعلق بادعائه زورا وبهتانا من أنه من أشد المسلمين حرصا على الدين الحنيف وغيره على الأماكن المقدسة . ولكي أبرئ ذمتي من توجيه اتهام باطل للرئيس العراقي عبر إثبات أن ادعائه السالف الذكر ما هو إلا شكل من أشكال التعميه والمراوغة التكتيكية التي يجيدها عند مواجهة المآزق ( مثلما فعل مؤخرا مع إيران بعد أن وجد نفسه محاصرا ) فسوف أستعير هنا مقتطفات من أحد الكتيبات الإعلامية التي تقوم السفارات العراقية نفسها بتوزيعها في الخارج .

من بين المواد الإعلامية التي تقوم السفارات العراقية بتوزيعها ، كتيب

لؤلف يدعى د. أمير اسكندر ، بعنوان ( صدام حسين مناظلا ومفكرا وإنسانا ) . وتحت عنوان داخل على الصفحة ١٥٤ ( الدين والتراث : مراجعات ثورية ) ، نقرأ الآتي :-

بعد نكسة ١٩٦٧ ، ادعى بعض المفكرين والباحثين أن خلاص المجتمع العربي في العودة إلى ينباع الإسلامية الأولى . فلقد كتب الشيخ عبد الحليم محمود ، الذي كان يجلس وقتها على مقعد الإمام الأكر للجامع الأزهر ( ولاحظ أسلوب السخرية والاستنكار ) ، كتب سلسلة من المقالات يدعى فيها أن أس البلاء هو الفلسفة اليونانية والأوروبية والمتفلسفة العرب الذي أفسدوا - في رأى الشيخ - التراث الإسلامى ، وأن الخلاص الذى اقترحه إمام الجامع الأزهر ، هو العودة إلى سواء السبيل ، إلى المنع الذى لا ينضب ، إلى الإسلام ودستوره القرآن ...

ثم بعد أن استعرض المؤلف نماذج من أقوال المعارضين لهذا الفكر ( فكر شيخ الأزهر ) لآخرين من أمثال صادق جلال العظم وأدونيس ( المعروف لمعظم القراء ) ، يحيط كلماتهم وآراءهم بالتوقير والاحترام . يصل المؤلف إلى هدفه الأساسى من هذا العرض عندما يقول : إزاء هذا كله ، يكتسب النص الذى قدمه صدام حسين بعنوان « نظرة في الدين والتراث » أهمية بالغة وخصوصية متميزة . لا من حيث أنه محاولة جادة وعميقة وحاسمة لإعادة وضع الرؤوس فوق أكتافها فحسب ( ولاحظ التعبير البشع ) وإنما لأنه يمثل إضافة فكرية وسياسية للتراث القومى العربى فى العصر الحديث ..

ويستطرد المؤلف عرضه لفكر صدام حسين الملهم : « وينبغى أن نقول منذ البداية أن حزب البعث العربى الاشتراكى هو حزب يضيف إلى جوهره القومى فكره العلمانى ، مثلما هى دولة البعث فى العراق فى نظريتها التى تهتدى بها وفى ممارساتها ، دولة قومية وعلمانية .. والمعنى المباشر لهذه العبارات هو التمسك بالدولة القومية العلمانية . فالمواطنون جميعا ، بصرف النظر عن دينهم وطائفتهم ومذهبهم ، متساوون أمام الدولة . ولا فضل لمواطن على آخر إلا بمدى تعلقه بوطنه ، وارتباطه بالثورة ، ونضاله من أجل بناء مجتمعا الجديد وتحقيق مثلها وتجسيد أهدافها . فليؤمن كل مواطن بما يشاء من كتب السماء ، وليعتقد ما يشاء من مذاهب الأرض . فالكل أمام الدولة والثورة سواسية كأسنان المشط » ...



ثم ينقل لنا المؤلف أيضا من فكر رئيسه وملهمه ، مما ورد في الصفحة ٣٣ من كتابه السالف الذكر ، قوله : « لأن الاستسلام للدعوات الرجعية لبعض الأوساط الدينية ( وهو يقصد الإسلام بالطبع ) يستلزم أن تترك دورك القيادي للمجتمع المتمثل في حركة ثورية تصنع الحاضر وتتطلع إلى المستقبل بطرق وبصيغ واضحة معروفة ، وأن تتخلى عنه لتنظم في صفوف حركة سلبية متخلفة تقتصر على التطلع إلى الماضي .. وتبدأ السلم من أوله » .

ثم يستطرد القائد الملهم على الصفحة ٣٤ من كتابه ليقول : « ولن يجدى كثيرا التظاهر بتعقب الرجعية ، وتصوير إمكانية احتوائها وإفراجها من سمومها عن طريق التداخل أو الالتحام المؤقت المحسوب . ذلك لأن الرجعية الدينية وفق مثل هذه النظرة سوف تكون هي قائدة المسيرة ، لا أنت ، ولذلك فلن تكون أنت الذى سيقوم بتعبئة الجماهير على هذا الطريق لتستطيع التحكم في مساراته واتجاهاته اللاحقة لتكيفه وفق ما تريد . وإنما هناك قادة غيرك من أوساط الرجعية متخصصون في هذه المسألة سيتولون هم الأمور على طريقتهم .

وأكتفى بهذا القدر ، معذرا عن الإطالة والاستطراد في نقل بعض صور الفكر السياسى العلمانى الإلحادى للرئيس صدام حسين ، والذى يشكل ركنا أساسيا في عقيدته الدينية والسياسية وممارساته في حياته اليومية . الأمر الذى يؤكد كذب ادعاءاته وأن هذه الادعاءات ليست سوى محاولات تكتيكية لاستفزاز مشاعر المسلمين والتلاعب بعواطفهم الدينية لاستخدامهم وقودا لمغامراته الدينية .

وليس من شك في أن أى انسان ، مهما كان نصيبه محدودا من الذكاء ، يستطيع أن يدرك بسهولة الأسباب التى جعلت الرئيس صدام حسين يتحول فجأة من حامى حمى العلمانية الملحدة إلى مسلم شديد الحرص على الإسلام وأكثر غيرة على الأماكن المقدسة من أهلها .. وذلك لأنه أدرك سوء موقفه العالمى ، وأن المساندة العربية والصديقة التى تلقتها المملكة وبقية دول الخليج والتى لم يكن يتوقعها بمثل هذا الحجم وبهذه السرعة ، قد وقفت سدا أمام أطماعه وأيقظته من غفلته وأحلامه المريضة بإمكانية ابتلاع دول المنطقة الواحدة تلو الأخرى ، أو فرض سيطرته عليها من خلال وضعها تحت تهديد

ولإرهابه باستخدام الأسلحة الكيماوية التي كان قد ادعى يوماً أنه يعدّها للدفاع عنهم ضد طغيان إسرائيل .

غير أنه يبدو أن الرئيس صدام حسين نسي شيئاً هاماً ، وهو أن المملكة العربية السعودية ليست الصيد السهل الذي ظنه ، كما يبدو أنه وقع في هذا الخطأ لأنه لا يقرأ التاريخ ، أو أنه يقرأ ولكنه لا يستوعب . حيث لو أنه قرأ تاريخ أسد الجزيرة ابن سعود العظيم ، وفهم معنى التضحيات الجسيمة التي بذلها هو وأبناؤه البررة في سبيل بناء هذه الدولة وثبتت أركانها واستعدادهم غير المحدود لافتداء مقدساتها وكل ذرة من ترابها . لما واثته الجرأة أورادته الأحلام للعدوان عليها . أوحى مجرد التلويح بمثل هذا العدوان □

الحزب

٢

تشریح سیاسی لجزیمة المصر



على

مدى الفترة الممتدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن ، شهد العالم عددا من الأزمات الحادة والأحداث التي شكلت تهديدا للأمن والسلام العالمى كان من بينها على سبيل المثال : الحرب الكورية والحرب الفيتنامية وأزمة الصواريخ الكورية والعدوان الثلاثى على مصر ( ٥٦ ) والعدوان الإسرائيلى على كل من مصر وسوريا والأردن ( ٦٧ ) والحرب العربية الإسرائيلية ( ٧٣ ) وأزمة جزر المالوين ثم أحداث أوروبا الشرقية وما تلاها من تداعيات هزت الأسس التي قامت عليها موازين القوى والحرب الباردة لزمن طويل .

ومع أن بعض تلك الأزمات كانت من الخطورة بحيث كاد الاستقرار العالمى ينجرف أمام تيارها العاق ، إلا أن مسرح الأحداث لم يشهد بالتأكيد خلال الفترة المشار إليها ما هو أكثر سوءا وأشد خطرا على السلام العالمى من هذه الأزمة الناجمة عن الاجتياح العراقى لدولة الكويت والتي مازلنا نعيش أحداثها الغريبة وهواجسها المفزعة .

وأكون مبالغا لو قلت هنا إن بمقدورى التنبؤ بما يمكن أن تنتهى إليه

أحداث هذه الدراما المأساوية ، أو تصور ما يحتمل أن تتمخض عنه من نتائج فى المستقبل القريب والبعيد على حد سواء . حيث أن هذا فى الواقع فوق طاقتى ، بل وقد أسمح لنفسى بالقول إنه أيضا فوق طاقة الآخرين بما فيهم صانعو القرارات أنفسهم من ذوى العلاقة المباشرة بهذه الأزمة . وذلك لسبب بسيط ، وهو أن أحدا لا يعرف على وجه التحديد السبب الحقيقى الذى أدى إلى نشوء هذه الأزمة حتى يستطيع أن يضع تصوره أو تقديراته لنتائجها على أسس منطقية .

وفى محاولة لاستكشاف طريق يؤدي إلى حل للغموض المحيط بهذا اللغز المحير وفهم الدوافع الحقيقية لإقدام العراق على اجتياح الكويت بهذه الصورة الهمجية الوحشية التى خلت من كل أشكال الرحمة والإنسانية وانعدمت فيها مظاهر الرجولة والشهامة والنخوة العربية والخلق الإسلامى ، لابد وأن نتفحص أولا المبررات التى قدمتها القيادة العراقية . لا أننا نتوقع من هذه القيادة أن تتوخى الصدق والأمانة ، وإنما لأنها الوحيدة التى تملك الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال باعتبارها صانع الحدث والفاعل الأسمى الذى يتحتم أخذ أقواله بصرف النظر عما إذا كانت هذه الأقوال سوف تحتسب له أو عليه . غير أنه يتعين أن نستعرض هنا شريطا موجزا للأحداث التى سبقت وقوع الجريمة مباشرة وكانت جزءا منها والمرحلة التمهيدية لها . وذلك على النحو التالى :-

١ - فى السابع عشر من شهر يوليو الماضى ، أى قبل وقوع الجريمة بأسبوعين ، قام الرئيس العراقى بتوجيه الاتهام العلنى لكل من الكويت والإمارات العربية المتحدة ، ناسبا إليهما التآمر مع القوى الاستعمارية لخفض أسعار النفط عن طريق تجاوز حصتهما الإنتاجية المقررة ، بهدف تدمير اقتصاديات العراق ، الأمر الذى تسبب فى خسارته ( أى خسارة العراق ) لما لا يقل عن أربعة عشر مليارا من الدولارات . . . ثم أضاف الرئيس العراقى إلى اتهامه السالف الذكر تهديدا صريحا لم يكن له ما يبرره على الإطلاق ، حيث قال : إن إزالة هذا الضرر لا تتم إلا من خلال إعطاء العراق ما سلب منه ، وإلا فهناك من الوسائل الأخرى ما هو كفىل بتحقيق ذلك . . .

٢ - وفى اليوم التالى مباشرة قام وزير الخارجية العراقى طارق عزيز بتقديم مذكرة إلى الجامعة العربية يتهم فيها الكويت بأنها انتهزت فرصة

انشغال العراق في الحرب مع إيران واستولت على أراض عراقية ضخمت منها نفطا بلغت قيمته ٢,٤ مليون دولار طوال سنوات الحرب . ومن ثم فإن العراق يطالب بحقوقه .

٣ - ردت الكويت على هذا الاتهام ، وأيضا على الاتهام الذي سبقه ، بمذكرة مماثلة قدمتها إلى الجامعة العربية وطلبت فيها التحكيم ، مع استعدادها التام لتقبل نتائج هذا التحكيم . ثم جرت اتصالات عاجلة مع العراق لتسوية الأزمة ولكن العراق لم يرفض التحكيم فقط ، بل قام بنشر قواته على الحدود بينه وبين الكويت مدعومة بالمثلثات من الدبابات وقطع المدفعية والآليات المدرعة . الأمر الذي أثار دهشة الجميع ، بالنظر لعدم حدوث ما يستحق هذا التصعيد أو ما يبرر اللجوء للعدوان المسلح ، حتى ولو كانت اتهامات العراق صحيحة وثابتة بالوثائق الرسمية . . .

٤ - ونتيجة للمساعي الحميدة والمكثفة التي سارع إلى بذلها بعض المخلصين من الحكام العرب ، بهدف تفريغ شحنة الانفعال ( المصطنع ) وحصر النزاع في حججه الطبيعي والعمل على حله في الإطار العربي والأخوى وبالطرق السلمية ، لم يوافق العراق بعد جهد جهيد إلا على اجراء مباحثات ثنائية بينه وبين الكويت فقط لا يشترك فيها طرف ثالث . . مع التعهد من جانبه بعدم اللجوء إلى استخدام القوة أو المساس بأمن الكويت .

٥ - وتم فعلا ترتيب اجتماع لهذا الغرض حضره وفدا البلدين في اليوم الحادى والثلاثين من شهر يوليو نفسه بمدينة جدة وتحت رعاية المملكة العربية السعودية . غير أن المباحثات انتهت بالفشل من الجلسة الأولى ، وليسارع الوفد العراقى إلى العودة لبلاده .

٦ - وكان سبب فشل المباحثات ما قام به الوفد العراقى من مناورات مريبة تمثلت في عمله على تغيير مكان الاجتماع ثم إصراره على فرض شروطه المعدة سلفا على الجانب الكويتى وطلبه التوقيع عليها بالموافقة دون السماح بمناقشتها . . ولقد فسرت هذه التصرفات أسباب رفض العراق بداية للتحكيم وتمسكه بالمباحثات الثنائية . . على أى حال فشلت المباحثات وعاد الوفدان إلى بلديهما ليفاجأ العالم فجر اليوم التالى ( الثانى من أغسطس ١٩٩٠ ) وبعد ساعات قليلة من ذلك الاجتماع ، باجتياح الجيش العراقى للكويت .

٧ - وعلى الرغم من أن العراق كان قد مهد لعملية الاجتياح بالاتهامات السابق ذكرها والمتضمنة الادعاء باستيلاء الكويت على بترول يخصه والمشاركة في مؤامرة لتدمير اقتصاده ( على حد زعمه ) ، عاد فاكشف على ما يبدو بعد وصوله إلى الكويت أن هذا المبرر غير كاف أو غير مقنع للرأى العام . لذا لجأ إلى مبرر جديد مفاده أنه جاء الى الكويت تلبية لدعوة من ( حكومتها المؤقتة ) التي استولت على السلطة ثم طلبت حمايته . . .

٨ - ومرة أخرى لم يتقبل الرأى العام العالمى هذا المبرر الجديد بالارتياح بل رأى فيه أسلوبا تهريجيا تافها جديرا بالاحتقار والسخرية ، خصوصا وأن العالم كان متأكدا من عدم قيام انقلاب في الكويت وعدم جدية وجود الحكومة المؤقتة المزعومة إلا في استديوهات إذاعة بغداد .

الأمر الذى دعا القيادة العراقية إلى البحث عن مبرر جديد لعله يكون أكثر إقناعا أو قبولا ، على الأقل من الطبقات الفقيرة سواء في داخل الكويت أو خارجها . لذا قدم مبرره الجديد على أن القوات العراقية قامت بغزو الكويت لتحرير الشعب الكويتي من الحكم العميل ، ولإعادة توزيع ثروة النفط توزيعا عادلا لصالح فقراء العرب . . .

٩ - ثم توالى المبررات في صورة أكاذيب ، أو الأكاذيب في صورة مبررات تتسارع على إيقاع سرعة الأحداث وردود الفعل العربية والدولية . فمرة تقول القيادة العراقية إنها قامت بتحرير الكويت باعتبارها الخطوة الأولى نحو تحقيق الوحدة العربية . . ومرة أخرى تدعى أن تحرير القدس يمر أولا بالكويت . . ولكنها أخيرا عثرت على تفسير التفاسير عندما وجدت القيادة العراقية ضالتها في القول بأن اجتياح الكويت ما هو إلا استرجاع لجزء من أرض العراق السليبية التي كانت قد اقتطعت منه غصبا أيام الاستعمار البريطانى .

١٠ - والآن . ترى هل ما زال فى جعبة الرئيس العراقى المزيد من الحيل والأضاليل والترهات والأكاذيب التى يساعده على صياغتها رجال جوبلز السابقون وبعض المرتزقة المحليون ؟ . . الواقع أن الرئيس صدام حسين هو الوحيد الذى يعرف الإجابة عن هذا السؤال . ولكن ما نستطيع تأكيده هنا أن عملية الاجتياح كانت عملية قدرة شديدة الغموض بنيت على



أخطاء جسيمة أهمها عدم التبصر والتقدير السليم للنتائج وردود الأفعال المحتملة . كما أن المبررات التي قدمها العراق لم تفسر شيئا وإنما زادت الأمر غموضا بحيث لم يعد أماننا أو أمام أى مهتم بهذا الموضوع سوى الاستنتاج المبنى على استقراء الأحداث كالتالى :-

أولا : أن ما أقدم عليه الرئيس صدام حسين من احتياح للكويت لم يكن وليد يوم وليلة وإنما كان تدبيرا محكما مع سبق الإصرار والترصد ، شاركه فيه تخطيطا وتنفيذا بعض المنافقين والطامعين والحاquدين فى المنطقة .

ثانيا : ما قام به الرئيس صدام حسين من مناورات وتحركات فى العديد من الاتجاهات ، وخاصة على الساحة الإعلامية ، مستخدما الأطفال تارة والرهائن من الدبلوماسيين والعاملين الأجانب فى العراق والكويت تارة أخرى ، ومن مبادرات مخوفة تارة ثالثة ، لم يكن الهدف من ورائها إلا التسويق وإضاعة الوقت بغرض تميع الوضع وصرف الانتباه عن الجريمة الأصلية وهى احتلال الكويت .

ثالثا : مثلما استخدم الدين فى التلاعب بمشاعر المسلمين لتضليلهم ثم توظيفهم لخدمة أهدافه الدنيئة ، لم يتورع الرئيس العراقى عن ارتكاب كافة أنواع الجرائم التى يعاقب عليها القانون الدولى العام ، بما فى ذلك احتجاز الرهائن الأبرياء للاحتماء بهم من عقاب المجتمع الدولى وأيضا للابتزاز ، حيث بدأ يلوح إلى استعداده لمبادلة بعضهم بالطعام والدواء ... إلخ .

وفى تقديرى أن هذا الابتزاز سوف يستمر لتحقيق هدفه الأصلى بتميع قضية احتلال الكويت عن طريق امتصاص الغضب الدولى بمرور الوقت ، بل وسوف يتصاعد هذا الابتزاز بمعنى أنه إذا كان يقبل اليوم مبادلة الرهينة مقابل طن من الطعام أو الدواء مثلا ، فسوف لا يقبل إتمام هذه المبادلة غدا وبعد اشتداد أزمة الحصار بأقل من شحنة طائرة كاملة . بل وربما يلجأ الى طلب السلاح أيضا مقابل الرهائن ...

رابعا : فى الوقت الذى تتوقع الولايات المتحدة والدول المساندة لها أن تؤق العقوبات الاقتصادية الدولية التى فرضها مجلس الأمن ثمارها المرجوة فى وقت قريب باضطراب العراق للخضوع والتسليم بالشرعية الدولية بغير قتال . يراهن الرئيس العراقى على الوقت ، انطلاقا من قناعته بأنه إذا استطاع

الصمود لعدة أشهر ( وهو بالمناسبة متأكد بينه وبين نفسه من أنه يستطيع ذلك فعلا عن طريق تأمر بعض الدول المجاورة معه وأيضا عن طريق الابتزاز والاتجار بالرهائن كما سبق الإشارة إليه ) فسوف يمتص تماما حماس الرأي العام الدولي وتنتهى القضية لصالحه .

خامسا : يعتمد الرئيس العراقي في تخطيطه لاستهلاك الوقت على جهد إعلامي ضخم تسانده إذاعة باللغة القوة ليشغل العالم من خلال التشهير والتحريض والمبادرات المتتالية التي يعلم قبل غيره عدم جديتها ، وأيضا باستغلال قابلية أمين عام الأمم المتحدة لإفساح المجال أمام الجهود الدبلوماسية بعقد الاجتماعات المتكررة مع أتباعه ، علاوة على قدرته الشخصية على التبيج والإمعان في التهديد لإشاعة الرعب لدى الرأي العام ودفعه لمطالبة حكوماته بالتساهل معه وتركه يفلت بغنيمة ، حتى ولو من منطلق اعتباره مجنونا لا يتورع عن تنفيذ تهديده .

سادسا : وفي المحصلة النهائية نجد أن محور المخطط الذي يعتمد عليه الرئيس العراقي في المرحلة الحالية من الأزمة ، هو العمل على كسب الوقت من خلال الحركة المستمرة على جميع الجبهات وخاصة الجبهة الإعلامية .

ولذا فإن إحكام الحصار النشط من خلال المتابعة المستمرة ومنع بعض الدول المتآمرة مع العراق ( لسبب أو لآخر ) من انتهاكه ، والعمل من خلال قرارات مجلس الأمن وعزل العراق إعلاميا . وأكرر عزل العراق إعلاميا ، قد يؤدي إلى النتائج المرجوة ، بشرط الحرص على عدم السماح بتآكل الحماس تجاه تحقيق الأهداف الأصلية وعلى رأسها انسحاب العراق من الكويت ووضع الضوابط الكفيلة بكف أذاه عن جيرانه .

وأخيرا فإنني أود أن أتساءل عن المدى الذي يمكن أن يصل إليه العالم في تعامله مع الرئيس صدام حسين من خلال أساليبه السالفة الذكر ؟ . . إذ لا شك أن التركيبة الطبيعية للإنسان العادي تجعله ينجح إلى السلام ، خاصة وأن للحرب ويلاتها التي لا تخفى على أحد ، وأن إنسان العصر الحديث بالذات لديه من أسباب العذاب ما يكفيه . لذلك فلا بد من أن نعطي الجهود الدبلوماسية فرصة ، بأمل المحافظة على السلام دون تفريط في المبادئ . وأن نتذرع بالصبر والحكمة ، ولكن بشرط أن نضع لذلك حدودا زمنية معينة ، وألا نجعل الخوف من الحرب والحرص على السلام ينسيتنا المبادئ الأساسية

أوجعلنا نتصرف بطريقة تشجع على تضخم أحلام المجانين وتفتح شهية المجرمين الذين يحلو لهم استثمار هذه المشاعر الإنسانية النبيلة في إيذاء غيرهم وسلب الآخرين حقوقهم وحرمان المسلمين من أمنهم واستقرارهم .

وقبل أن أنهى الحديث ، أود أن أشير إلى أنه كانت قد ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى دعوة إلى تطبيق مبدأ الأمن الجماعي COLLECTIVE SECURITY بهدف تجنب العالم التعرض لويلات حرب أخرى مدمرة . ولكن تلك الدعوة لم تلق العناية الكافية لوضعها موضع التنفيذ ، ربما لأن ظروف المجتمع الدولي لم تكن مهيأة تماما لذلك .

غير أننا لو نظرنا إلى الأمر في ضوء الظروف الحالية ومن خلال أزمة اجتياح العراق للكويت بهذه الصورة المأساوية البشعة ، فسوف نجد أن الحاجة إلى تطبيق هذا المبدأ أصبحت أكثر إلحاحا بالنظر إلى أن خسائر الحرب ومخاطرها صارت أضعاف أضعاف ما كانت عليه في الحرب العالمية الأولى أو حتى في الحرب العالمية الثانية ربما بمئات المرات . وأيضا لحاجة العالم الآن وأكثر من أى وقت مضى إلى الحفاظ على ما حققه من إنجازات علمية ومكاسب حضارية دفع ثمنها باهظا وضحي في سبيلها بأغلى التضحيات . هذا بالإضافة إلى ما اعتقده من أن الرأي العام العالمى قد أعطى الدليل العملى على أنه أصبح أكثر تقبلا واستعدادا لتطبيق نظرية الأمن الجماعى ، وذلك من خلال قرارات الإدانة المتتالية للعراق والتي أصدرها مجلس الأمن خلال وقت قصير □



جريدة

٣

الاعلام الأسود  
والاحتلال العراقي للكويت



## حول

الحدث الكارثة الذى وقع قبل فجر يوم الخميس الثانى من أغسطس الماضى على أرض الكويت ، وهو الحدث الذى ما زلنا نعيش بكل جوارحنا هواجسه وأحلامه المفزعة من خلال ما يعرف بأزمة الخليج التى أفضل أن نطلق عليها ( الاحتلال العراقى للكويت ) . نشرت صحيفة التايمز اللندنية مقالاً للكاتب المعروف الأستاذ محمد حسين هيكل ، يعبر عن رؤيته الشخصية لأسباب نشوء هذه الأزمة وانعكاساتها المأساوية على أوضاع المنطقة فى الحاضر والمستقبل .

وكلنا نعرف أن الرئيس صدام حسين وفريقا من مؤيديه الذين يتظاهرون بالحكمة وبعد النظر والتعقل وضبط الأعصاب ويعملون فى الحقيقة على امتصاص الغضب الدولى تجاه العدوان ، يذلون قصارى جهودهم وينفخون فى كل أبواقهم محاولين إحداث أكبر قدر من الشوشرة والضجيج لصرف الانتباه عن الجريمة الأصلية بإثارة القضايا الجانبية مثل تواجد القوات الصديقة على أرض الجزيرة العربية ، وهو التواجد الذى كما هو واضح للجميع ليس سوى واحدة من نتائجها .

كذلك فنحن نعرف أن بعض هذه القوات ( الأمريكية والبريطانية والفرنسية وغيرها ) سبق وأن استدعيت إلى المنطقة من قبل الكويت في السنوات الأخيرة من الحرب العراقية الإيرانية وظلت هناك حتى يومنا هذا برغم انتهاء الحرب نفسها منذ أكثر من عامين . ومع ذلك فلم يفزع الرئيس العراقي ولم يفزع مؤيدوه لتواجدها ، سواء تحت شعار العروبة أو انطلاقا من قيم ومبادئ الإسلام . . ترى ماذا تغير ليستحق أن تنقلب له المعايير بهذا الشكل ؟ ..

لقد جاءت القوات الأمريكية والدولية إلى الخليج ابان الحرب العراقية الإيرانية وتمركزت في بعض من دوله . تلبية لدعوة من الكويت كما ذكرنا ، والتي كانت تتعرض في ذلك الوقت للتهديد والمضايقات من جانب ( إيران ) ، وكان لهذه القوات أيضا مصالحها وأهدافها الخاصة التي تتمثل في حرصها على تأمين حرية الملاحة الدولية في الخليج وتأمين احتياجاتها من الإمدادات البترولية ، وكان العراق أكبر المستفيدين من تواجد هذه القوات ومن ثم لم يفتح فمه ولم تصدر عنه كلمة اعتراض ، بل بارك هذا التواجد وعمل من خلاله على توريط الولايات المتحدة في خوض الحرب إلى جانبه عن طريق افتعال عملية المدمرة ( ستارك ) ، حيث كان المخططون لتلك العملية يتصورون أنهم سوف يخدعون الولايات المتحدة بجعلها تظن أن إيران هي التي ضربت المدمرة .

هذه القوات نفسها هي التي جاءت في المرة الثانية ( أو على الأصح كثفت من تواجدها ، لأنها كانت موجودة فعلا ) بدعوة من الكويت أيضا ومن المملكة العربية السعودية ، وأيضا لنفس الأسباب التي دعت لتواجدها في المرة الأولى ، فيما عدا أن الخطر في هذه المرة جاء من جانب ( العراق ) ، الذي لم يشكل تهديدا فقط وإنما ابتلع دولة بكاملها الأمر الذي تطلب من القوات الصديقة أن تضيف لمهمتها السابقة مهمة أخرى جديدة هي منع العراق من استكمال تحقيق بقية أطماعه واسترجاع الكويت من جوفه ومعاقبته على فعلته الدنيئة .

هذا هو الرئيس العراقي « صدام حسين » ، وهذه هي مصداقيته العربية والإسلامية ، وهذا هو وزنه الذي يقدره هو من جانبه بعدد الجنود الذين يستطيع الزج بهم في ميادين القتل ، مثلما حدث في حربته مع إيران ،



أو أسلحة الدمار التي يمتلكها ويستخدمها بفاعلية كبيرة ضد المدنيين الأبرياء سواء في إيران أو في شمال العراق .

لذلك فإن أحدا لم يأبه بادعاءات الرئيس صدام حسين أو بأولئك الذين تبعوه كالأذيات ، خوفا كان أم طمعا . أما أن ينسج كاتب كبير مثل الأستاذ هيكل ، الذى له مكانة معروفة في عالم الفكر والصحافة ، على نفس المنوال وينتهى في مقاله الذى سبق الإشارة إليه في بداية الحديث إلى نفس النتائج ، فهذا هو ما يصعب تصديقه .

ومثل غيرى من قراء الأستاذ هيكل الذين يقدرون ثقافته وسعة اطلاعه وبراعته في التعبير ونقل أفكاره إلى الآخرين ، فقد صدمنى أن يكون موقفه من أزمة الخليج مطابقا أو مشابها لموقف الرئيس صدام حسين الذى أجمع العالم كله على إدانته بالجرم المشهود، وداعما لأولئك الذين وصفهم شرفاء العالم بالندالة والتآمر وضعف الأخلاق .

ذلك لأنهم ، وبالرغم من ادعائهم في البداية بإدانة العدوان وعدم إقرارهم لاغتصاب حقوق الإنسان وانتهاك حريات الآخرين ، إلا أنهم سرعان ما ينتقلون من هذه المقدمات المزيفة إلى الإفصاح عن أهدافهم الحقيقية من خلال الحديث عن تواجد القوات الصديقة ، لصرف الانتباه عن الجريمة الأصلية وتركيزه على واحدة من نتائجها . وهذا أمر واضح لكل ذى بصر أو بصيرة ودون الحاجة إلى الكثير من المراوغة أو الدوران حول المعانى .

ومن البديهيات في عالم الطب والدواء ، أن عددا كبيرا من الأمراض ، كالسل والالتهابات الرئوية والزائدة الدودية والقولون وغيرها ، تصحبها عادة بعض الأعراض الجانبية مثل الصداع والسعال والمغص وارتفاع الحرارة . . إلخ ، بل وأحيانا ما تكون هذه الأعراض الثانوية أكثر وضوحا وأشد إيلا من الأمراض المسببة لها .

لذلك نجد أن الطبيب الماهر يوجه اهتمامه إلى معالجة واستئصال المرض الأساسى الذى بمجرد شفائه تزول تلقائيا أعراضه الجانبية ، أو على الأقل يصبح علاجها أمرا ميسورا وبأقل جهد ممكن . أما إذا وجدنا طبيا يوجه اهتمامه إلى الأعراض الثانوية دون معالجة المرض الأصلى نفسه ، فماذا تكون

النتيجة ؟ .. أعتقد أنها تكون كارثة .. ثم ماذا يمكن أن نسمى مثل هذا الطبيب ؟ ..

الحقيقة أن مقال الأستاذ هيكل تضمن العديد من العبارات الاستفزازية والمفاهيم الدالة على الاستعلاء القائم على أسس عنصرية ، مثل : البدو والحضر ، وأهل الصحراء وأهل المدن ، والتقدميين والرجعيين ، والمحافظين والمطالبين بتحكيم الشرعية الدستورية .. إلخ .

ومع أن هذه المصطلحات تحمل في طياتها الكثير من معاني الاستخفاف والمغالطات التاريخية وتثير في المرء حوافز الدفاع المشروع عن النفس . علما بأن هناك الكثير الذي يمكن أن يقال للأستاذ هيكل بهذا الخصوص . إلا أنني أؤثر عدم فتح جبهات للمنازعات الصحفية ، خاصة في الوقت الحاضر الذي نحتاج فيه أكثر من أى وقت آخر إلى كل طاقاتنا وكل تضامنتنا حتى نتخلص أولا من هذه المصيبة التي يراها الأستاذ هيكل في تواجد قوات أجنبية في الخليج ، ونراها نحن وكل مجانين العالم - بما في ذلك مجلس الأمن - في اختطاف دولة وابتلاعها في نهاية القرن العشرين . غير أنني أود أن أستأذن الأستاذ هيكل في توجيه بعض التساؤلات إليه ، على الوجه التالى :-

١ - تحت أى تصنيف يضع الأستاذ هيكل تواجد القوات الأجنبية ( سبب أم نتيجة ) ؟ .

٢ - إذا كان تواجد القوات الأمريكية وغيرها من القوات الصديقة على أرض الخليج هو من قبيل الخطر على الاستقلال العربى ، فماذا عن اجتياح العراق للكويت وابتلاعها تماما مع كل ما اقترن بهذا الاجتياح الدموى الشرس من قبل للأرواح البريئة وتدمير للمنشآت ونهب للأموال وهتك للأعراض وتشريد لشعب بكامله ؟ ..

٣ - ما معنى العبارة التى تضمنها المقال السالف الإشارة إليه ولتى تقول : « إنه حتى لو اشتعلت المنطقة العربية في حرب أهلية ، لكان ذلك أفضل من التدخل الأجنبى » ؟؟ . وهل هذه هى قناعة الأستاذ هيكل فعلا ؟ وما هى الحكمة وراءها التى لم نستطع ادراكها ؟ ، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون إعجابا منه بمقولة ( ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب ) ؟ ..

٤ - عندما كان النزاع على أشده لإخراج القوات البريطانية من قناة السويس

ومحاولات الغرب لجر مصر إلى الأحلاف الغربية بحجة مواجهة عدوان شيوعي متوقع . كان لكم تعبير بهذا الخصوص مفاده ( هل من المعقول أن ندفع عدوانا محتملا بعدوان قائم فعلا ؟ . فماذا عن هذا المبدأ بالنسبة لقضية الكويت ؟ ..

٥ - إذا كان العدوان العراقي خطأ والتواجد الأمريكي خطأ أيضا ( من وجهة نظركم ) ، فهل من المعقول أن يسوى بين الاثنين مع أن أحدهما نتيجة حتمية للآخر ؟ .

ثم لماذا يثار موضوع التواجد الأمريكي مع موضوع العدوان العراقي في نفس الوقت ، بل ومع التركيز على الأول ؟ ، وهل مثلكم هو ممن يخفى عليهم تأثير هذا الأسلوب الإعلامي في تمييع القضية الأصلية . خاصة وقد جاء في مقالكم سالف الذكر بعض العبارات مثل ( تفاوت الثروات ، والحاجة إلى نظام جديد .. إلخ ) .

الواقع أننا لو استرسلنا في التساؤلات ، فسوف لا ننتهي ، لأن لدينا منها الكثير . غير أنني كما سبق وأن ذكرت لا أقصد الإثارة في الوقت الحاضر الذي يحتاج إلى كل جهودنا . وأسأل الله العلي القدير أن يهدينا ويهديكم إلى سواء السبيل □



الرجاء

٤

الصحافة والحصافة  
والوقت الملائم



### « نحن »

الآن في المراحل الأولى لمعركة العقل ، للسيطرة على الجنس البشري ، معركة سنحاربها من ارتفاع ٣٦ ألف ميل فوق خط الاستواء - آرثر كلارك ١٩٧٦ . . لا أدري لماذا قفز إلى ذاكرتي هذا التعبير عندما كنت أقرأ مؤخراً ما نشرته بعض وسائل الإعلام الغربية من مقالات وتحقيقات صحفية لمراسليها في الخليج . ولقد لفت انتباهي أن عدداً من هذه المقالات تعرض بالغمز واللمز لأساليب الحياة القائمة على الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، مثل الحجاب وحق المرأة في قيادة السيارات ونظام الحكم . . إلخ .

ومع أن محاولات الإساءة إلى المملكة العربية السعودية بصفة خاصة وكل ما هو عربي أو مسلم بصفة عامة عبر وسائل الإعلام الغربية ليست بالأمر الجديد . بل أستطيع القول بأنها لم تنقطع يوماً منذ نشأة القضية الفلسطينية أو ما يعرف بقضية الشرق الأوسط أو النزاع العربي الإسرائيلي . إلا أن ما دعا لأسفى هذه المرة هو أن أصحاب الأقلام التي كتبت هذه المقالات هم حالياً من ضيوف المملكة الذين رحبت بتلبية رغباتهم في الحضور لتغطية أحداث أزمة الخليج ويلقون منها كل رعاية واهتمام . ولكن دعونا نستعرض أولاً أبعاد هذه

تنطلق في موقفها هذا من منطلق أخلاقي وإدراك كامل لمسئولياتها الحضارية والدولية واحترام لالتزاماتها بالدفاع عن الشرعية والعمل على استتباب الأمن والاستقرار العالمى ومناهضة الخروج على الانضباط في مجال العلاقات الدولية . وذلك بصفتها زعيمة للعالم الحر .

أما إذا كان هناك من يحاول ، في إطار الجهود المبذولة من قبل بعض الجهات التي يأتي في مقدمتها المعتدى نفسه ، لصرف الانتباه عن العدوان بإثارة الغبار حول التواجد العسكرى في المنطقة والتحريض ضد التواجد الأمريكى بصفة خاصة ، تارة بدعوى المساس بالأمكن المقدسة وطورا بالترويج لمقولة أن الولايات المتحدة لم تنطلق في موقفها المناهض للعدوان من حرصها على المبادئ أورغبتها في الدفاع عن الشرعية . وإنما تحركها مطامعها وتدفعها مصالحها الخاصة المتمثلة في ضمان تأمين إمدادات النفط التي تشكل العصب الحساس بالنسبة لحضارتها وللحضارة الغربية بصفة عامة . فنحن على ثقة من الآتى :-

أولا : أن النظام العراقى العدوانى والذين يشايعونه ، لا يهدفون من وراء ترويج هذه المقولة ( بصرف النظر عن صحتها أو عدم صحتها ) إلا إلى التشكيك والوقية وتكوين جبهة معادية لتواجد القوات الصديقة وبصفة خاصة الأمريكية ، تعمل على المطالبة بإنهاء هذا الوجود . وذلك لكى يأخذ المعتدى الفرصة التي يحتاجها ليستريح ويكرس عدوانه ويفلت من العقاب على جريمته .

ولعل هذا كان هو الدافع وراء التصريحات التي أدلى بها بعض المسئولين الأمريكيين في مناسبات مختلفة ، والتي كانت تحمل معنى أن القوات الأمريكية جاءت لتبقى حتى ينتهى العدوان العراقى على الكويت أو مطالبة السعودية لها بالعودة . وكان الغرض من ذلك إفهام صدام حسين ومؤيديه بأنه لا فائدة من محاولاتهم لإخراج هذه القوات قبل أن تحقق الأهداف التي جاءت من أجلها .

ثانيا : أنه حتى في حالة ما إذا كان السبب الرئيسى لموقف الولايات المتحدة من هذه الأزمة هو مجرد حرصها على مصالحها ( المشروعة ) . وطالما أن تحقيقها لهذا الهدف يتفق مع مصالحنا المتمثلة في تأمين حقوقنا ومصالحنا والمصدر الرئيسى لدخلنا والحفاظ على أمننا بطرد المعتدى وإزالة التهديد .



الآزمة وعلاقتها بالتواجد الدولى بشكليه العسكرى والإعلامى على السواء .  
وذلك على سبيل التمهيد للتعرض فيما بعد لمضمون هذه الملاحظة  
أو الملاحظات .

فنحن نعرف بالطبع أن عدوانا عراقيا آثما وقع فجر الثانى من أغسطس  
الماضى على دولة الكويت ، وكاد هذا العدوان يتطور إلى عدوان أكبر يشمل  
دولا خليجية أخرى تأتى فى مقدمتها المملكة العربية السعودية ، لولا بقظة  
قيادتها التى أفسدت على المعتدى تدبيره الآثم .

ونعرف أيضاً أن هذا العدوان لم يكن حربا بمعناها المعروف بين الدول ،  
حيث لم يسبقه خلاف ( حقيقى ) بين الدولتين أو نزاع أو صراع طال أمده  
واستعصى حله بالطرق السلمية والقانونية المعتادة بحيث تطور حتى وصل إلى  
مرحلة التحاور بالسلاح . بل كان مجرد عملية نهب وسلب ذنيثة وسطو مسلح  
غادر وبلطجة لا تحتلف فى أى جانب من جوانبها عن تلك التى كان يمارسها  
قطاع الطرق والقراصنة فى العهود الغابرة .

ولقد أدرك المجتمع الدولى أن هذا العمل يمثل انتهاكا صارخا للقوانين  
والأعراف وخرقا واضحا لميثاق الأمم المتحدة وتحديا خطيرا لسياسة الوفاق التى  
عمل العالم طويلا من أجل تحقيقها وبدأ يبنى أولى ثمارها من خلال اتفاقات  
للحد من التسليح ونبذ للحرب الباردة . خاصة وأن العالم لم ينس بعد ما ذاقه  
من ويلات حربين عالميين مدمرتين خلال النصف الأول من هذا القرن ،  
وكانت آخرهما بسبب التسامح أو التباطؤ فى مواجهة تصرفات مشابهة لحاكم  
مجنون فتنته قوته وأعمته أطماعه .

لذا فقد جاءت الإدانة الدولية للعدوان العراقى حاسمة وواضحة وشبه  
إجماعية ، سواء من خلال قرارات مجلس الأمن العشرة التى صدرت بهذا  
الخصوص فيما لايجاوز الثلاثة أشهر الأولى من تاريخ بدء وقوع هذا العدوان ،  
أو من المؤتمر الإسلامى أو مجلس الجامعة العربية أو مؤتمر القمة العربى  
الطارىء بالقاهرة .

ونحن نعرف كذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية عندما أبدت تفهما  
عميقاً لأبعاد الخطر الذى يمثله العدوان العراقى واستجابت لطلب الدول  
الصديقة التى تعرضت للعدوان بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، إنما كانت

فاننى لا أرى فى ذلك شيئا معيبا سواء بالنسبة للولايات المتحدة أو بالنسبة لدول الخليج . بل إننى أرى فى هذا قمة الإحساس بالمسئولية والنموذج الأمثل للتعاون الدولى المتبادل على أساس المصالح المشتركة .

ثالثا : أن كون الولايات المتحدة قد جاءت فقط لتأمين مصالحها يعنى فى الوقت نفسه النفى القاطع والحاسم للاتهامات التى يوجهها البعض للرئيس بوش بأنه زج بالشباب الأمريكى إلى ساحة الموت من أجل العرب أو دفاعا عن رفاهيتهم .

وهكذا يصبح واضحا أنه سواء كان هدف الولايات المتحدة هو تأمين مصالحها ( المشروعة ) ، أم الانتصار للمبادئ والمثل والمحافظة على مكتسبات الحضارة البشرية وإنجازاتها ومناخ الوفاق الدولى . فإن الحقيقة التى يمكن استخلاصها من كل ذلك ، هى أن لكل من الولايات المتحدة ودول الخليج ، بل وللعالم بأكمله ، مصلحة مشتركة فى التصدى للعدوان العراقى وإزالة آثاره ومنع تكراره . وليست المصلحة لطرف واحد دون آخر . ومن ثم فلا مجال للمزايدة أو محاولة الوقعة والتسبب المتعمد أو غير المتعمد فى الإضرار بالموقف الدولى الحاسم تجاه العدوان من خلال إثارة المشاكل والحساسيات التى لا مبرر لها .

وهنا لا يسع المرء الا أن يتساءل عن الهدف من إثارة بعض وسائل الإعلام الغربية لمسائل وموضوعات بعيدة كل البعد عن أحداث الأزمة التى تعيشها المنطقة ويعيشها العالم أيضا . والتى جاءوا هم أنفسهم لتتابعها وتغطيتها . خاصة وأن أولئك الذين يكتبون مثل هذه التقارير والمقالات يحقنونها بعبارات الغمز واللمز والتلميحات التى تتسم بالصلف والكبرياء والتعالى المستند إلى أسس ثقافية أو حضارية غربية .

فلقد درست ماجستير فى الحكومات الأمريكية وتعرفت على كيف يعمل هذا النظام الفريد الجيد ، وهو جيد فعلا لأن الشعب الأمريكى هو الذى اختاره وارتضى هذا النظام بمثل ما ارتضى الشعب السعودى نظام حكمه . ولا مجال عنا لعقد المقارنات بينها حيث أن كلا منا يعتقد أنه يتخذ فيها الجانب الأفضل . ولكن يكفى أن استشهد هنا بجلمة ممتازة تضمنها إعلان الاستقلال الأمريكى نفسه تقول ما معناه « إن الشعوب هى التى تترضى نظم الحكم التى تريدها وتتواءم معها وليس تلك التى تراد لها من قبل الغير » . . أما عن دور

المرأة في المجتمع العربي السعودي ، فمع أن هذا الدور قد لا يكون مفهوما من الغربيين ، إلا أنه بالنسبة لنا ملائم كل الملاءمة ، لأنه نابع من ديننا وتاريخنا وقيمنا التي تربينا عليها ونشأنا في ظلها .

وعندما ذهبت إلى الولايات المتحدة دارسا ، وجدت أن الكثير من أنماط الحياة والعادات الاجتماعية للشعب الأمريكي تختلف اختلافا جذريا عما ألفناه في بلادنا ، لدرجة كانت تصيب الكثيرين بالذهول . غير أنني كنت ، لحسن الحظ ، على قدر من الدراية المسبقة بوجود مثل هذه الاختلافات . لذلك فقد كنت أستطيع الفصل بين عاداتي وتقاليدي التي اكتسبتها من بيئتي الشرقية وتراثي العربي الإسلامي ، وبين تلك السائدة في المجتمع الأمريكي الذي لا تشاركنا غالبية العظمى الدين والتاريخ والتراث الثقافي والاجتماعي .

وانطلاقا من هذه القناعة ، فلم أكرث مثلا بكثرة المراقص والأماكن الإباحية التي تعج بالفتيات العاريات . ولم أعبأ بارتفاع معدل الجريمة بدءا من الاعتداء على النفس ومرورا بالسرقه بالإكراه وانتهاء بالاغتصاب الذي لا يستثنى أحيانا كبار السن والأطفال . كما لم أدهش للتفكك الأسري والعائلي ولم أتألم لتفشي ظاهرة انتشار معاورة الخمر وتعاطي المخدرات على أوسع نطاق بالرغم من المآسى الأخلاقية والاجتماعية والأمنية التي تسببها هذه الممارسات المنحرفة .

ولم يكن هذا الفصل بين مشاعري الشخصية وما أراه أمامي على أرض الواقع من أمور يرفضها تكويني النفسي والوجداني أمرا سهلا وميسورا . فلقد كانت هناك بعض السلوكيات التي صدمتني بشدة ولم أستطع أن أنساها حتى اليوم . مثل منظر الطالب الذي رأيته في قاعة المحاضرات عندما دخلتها للمرة الأولى ، وقد جلس ممددا ساقيه فوق طاولة الدراسة أمامه وكلتا حذائيه مسددتان في مواجهة الأستاذ المحاضر مباشرة . وهذا بالطبع واحد من الأمور التي يصعب على إنسان مثل أتي من مجتمع شرقي أن يفهمها ، أو يتصور إمكانية وجود تفسير يبررها تحت أي مصطلح علمي أو نظرية تربوية . .

ومع ذلك فلم أحاول قط مناقشة أي من هذه الأمور أو السلوكيات ولم أعقد مقارنة بينها وبين العادات والتقاليد التي ألفتها في بلادى . بل لقد بذلت جهدي لكي أتعرف على الولايات المتحدة وأتعامل معها كما هي ، لا كما أريدها أنا . وقد ساعدني على ذلك خلفيتي الدينية ومضمون القاعدة القرآنية

التي تلخص أفضل أساليب التعايش بين الشعوب المختلفة ، والتي تقول « لكم دينكم ولي دين » . أى كونوا كما تحبون وسأكون أنا كما أريد دون صدام بيننا أو محاولة أحدنا فرض مبادئه على الآخر ، حتى ولو من خلال السخرية . ولتحمل كل نتيجة اختياره . . لذلك فقد قصرت اهتمامي على البحث عن الجوانب الإيجابية النافعة التي راقتني في المجتمع الأمريكي ، وهي للحق عديدة ولا أنكر أنني استفدت كثيرا مما تعلمته خارج فصول الدراسة .

وقبل أن أنهى حديثي هذا أود أن يشاركني القارئ بعض فقرات من الخطاب الذي أرسله شاب غربي كان يعيش في المملكة العربية السعودية يدعى ( فان ريبيل ) إلى جريدة سعودية جازيت ، التي نشرته في عددها الصادر يوم الجمعة ١٦ نوفمبر الحالي ، وقد جاء فيه « الآن أستطيع أن أفهم طريقة الحياة في الدول الأخرى بشكل أفضل . فلقد أثرت حياتي في السعودية على تفكيري من عدة جهات بحيث أصبحت متفتح الذهن للكثير من الأفكار . وعندما غادرت جدة شعرت بأنني فقدت أصدقاء كثيرين ، ولكنني اكتسبت إدراكا عميقا بأن هناك حياة أخرى وأفكارا مختلفة عن تلك التي في بلادي ، والأكثر من ذلك العديد من الذكريات العظيمة » . . .

ولعل في هذه السطور البسيطة المعبرة دلالة واضحة وعميقة لأولئك الذين يأتون إلى بلادنا وهم مغممون بالقناعة أن ثقافتهم وأساليب حياتهم ونظمهم السياسية والاجتماعية فوق مستوى المقارنة وأنها النموذج الذي يجب أن يحتذى ويطبق على كافة البشر في كل أنحاء العالم . . فلإى هؤلاء بالذات أهدي كلمات فان ريبيل التلقائية الصادقة □

الحمد لله



خواطر المحطات الحاسمة



### أشهرت

فى إحدى مقالائى منذ سنوات غير قليلة ، إلى ظاهرة ،  
أوحالة نفسية تعرف باسم ( De Javu ) . وهى حالة قد تتاب المرء حين  
يتملكه شعور غامض بأنه سبق وأن مر بنفس الظروف أو تواجد فى نفس  
المكان أو رأى نفس الأحداث التى يشهدها بنفس الترتيب والتواتر ، بل  
وربما أيضاً بنفس النتائج .

قفزت إلى ذهنى هذه المعانى عندما كنت أقلب الفكر فى النازلة التى  
ألمت بعالمنا العربى منذ الثانى من أغسطس الماضى ، وما عساه أن يكون  
عليه مستقبل هذا العالم وما ينتظر أن يثول إليه مصيره نتيجة للعمل الأرعن  
الطائش غير المسئول الذى أقدم عليه الرئيس العراقى صدام حسين باحتلاله  
للكويت .

ومع أن بواعث الألم كثيرة ، ودواعى الدهشة والذهول أكثر منها ،  
والتساؤلات الحائرة أكثر وأكثر ، إلا أننى آثرت أن أقصر اهتمامى على  
سؤالين اثنين فقط ، لعلنى أستطيع من خلال التركيز عليهما العثور على  
إجابة شافية أو تفسير مقنع لهما .

والسؤال الأول الذى يحيرنى هو : كيف حسبها صدام حسين ؟ ، وكيف تصور أنه يستطيع بهذه البساطة وبمثل هذا الأسلوب الهمجى الفج أن يتلع دولة مستقلة وفى هذا الوقت بالذات الذى يشهد انتعاش الأمل فى نبذ الصراعات والحروب بأنواعها الساخنة والباردة ، لكى ينعم العالم بفترة من الهدوء والسلام والأمن ، ويتفرغ للبحث عن حلول لمشاكل البيئة والطاقة وتوفير الغذاء ومكافحة الأمراض والأوبئة ؟ .

أما السؤال الثانى فهو : لماذا لم يستوعب صدام حسين دروس التاريخ ولم يتعظ بالعبرة فيما انتهى إليه العديد من أمثاله الطغاة الذين تضخمت طموحاتهم وأطماعهم وحاولوا التوسع وحل مشاكلهم على حساب غيرهم فلم ييوعوا إلا بالخسران ولعنة الله والناس أجمعين .

وأذكر بهذه المناسبة أننى قمت بزيارات متعددة لبغداد ، لأداء بعض المهام الرسمية . وكان قد لفت انتباهى ذلك التردى الشديد فى مستوى معيشة المواطنين العراقيين وتدهور الخدمات فى جميع مرافق الدولة بصورة لا تتناسب مطلقاً مع ما يمتلكه العراق من حضارة وثروات ضخمة ، نفطية وزراعية وبشرية ، لا تتوفر مجتمعة لأى دولة عربية مجاورة .

غير أننى كنت أحاول إقناع نفسى دائماً بأن هذه طبيعة الأمور وواحدة من إفرازات الحرب التى كان العراق يخوضها ضد إيران فى ذلك الوقت . وإن كان قد آلمنى بشكل خاص حالة الخوف والفرع التى كنت أقرأها بوضوح فى عيون الناس هناك . ليس من هول الحرب ، وإنما من الأجهزة الرهيبة التى يستخدمها الرئيس العراقى ضد الشعب ، مثل جهاز « حنين » وجهاز « آمن » . وهى أجهزة خاصة بالأمن والاستخبار الداخلى . . ( ولاحظ المسميات ، خصوصاً جهاز « حنين » الذى أنشأه وأطلق عليه هذا الاسم ، الرئيس العراقى نفسه ، على الرغم من أن مدلوله بعيد كل البعد ، بل ومناقض تماماً لواقع المهام التى يمارسها هذا الجهاز ) .

وخلال إحدى زيارتى لبغداد فى السنة الأخيرة من الحرب العراقية الإيرانية ، جرى بينى وبين بعض الشخصيات العراقية المرموقة التى التقيتها على مائدة الغذاء حديث ودى وشخصى قلت لهم خلاله : لو أن الرئيس العراقى ركز اهتمامه بعد انتهاء الحرب على تحقيق الرفاهية للشعب العراقى



بنفس الحماس ونفس الطاقة التي يبذلها الآن في الحرب ، وهي الحرب التي قال عنها الرئيس العراقي نفسه ، إنها حرب مدمرة جرى خلالها الدم شلالات وأنهاراً ، فسوف يكون هذا جزاء عادلا للشعب العراقي وتعويضاً مناسباً عن سنوات المعاناة والحرمان الطويلة التي تحملها في صبر عجيب ، وسوف يكون المواطن العراقي وقتئذ من أسعد مواطني الخليج إن لم يكن من أسعد المواطنين العرب على الإطلاق .

كذلك قلت لهم أيضاً ، أنه يتحتم على الرئيس العراقي أن يتعظ من عبر التاريخ بألا يحاول تهديد أو المساس بأي دولة عربية مجاورة صغيرة كانت أم كبيرة . خصوصاً وقد رأى ولمس بنفسه كيف ساندته هذه الدول في محنته ، وأن يطمئن الأشقاء والأصدقاء من دول الخليج بأنه لن يكون ذلك الجاحد أو الغادر بهم في يوم من الأيام ، ومهما بلغت قوته .

وللحقيقة ، فإن أولئك المسؤولين الذين كنت أتحدث إليهم ، كانوا يبدون موافقتهم وتفهمهم لكل ما ذهبت إليه ، بل ويؤكدون أن الرئيس العراقي نفسه يدرك ذلك جيداً ويؤمن بحق كل دولة عربية في ممارسة سيادتها واستقلالها وتأمين مصالحها مهما صغر حجمها ، وأن هذا هو ما أشار إليه في العديد من المناسبات قائلاً : « لو أن العراق اعتدى على إحدى الدول العربية ، فعلى الأمة العربية بكاملها أن تجيش الجيوش لردعه » ! .

أقول إنه على الرغم من كل هذه التأكيدات والتطمينات ، فإن ما حدث يوم الثاني من أغسطس الماضي أعطى الدليل القاطع على أنها كانت سرايا وخداعاً ووهماً لا أساس له في الواقع . فمع أن ما فعله بعدوانه على الكويت ومحاولته التمدد بالعدوان على المملكة العربية السعودية أيضاً هو من قبيل الأمور البالغة الغرابة والبعيدة عن كل التوقعات ، إلا أن الأكثر غرابة وبعداً عن التصور هو إقدام الرئيس العراقي على التنازل لإيران عن كل مطالبها التي عاند وحارب من أجلها ثمانى سنوات وأضاع في سبيلها مالا حصر له من الأرواح والأموال . وذلك مقابل تحييد إيران في مغامراته الجديدة ورشوتها لعدم الانضمام إلى القوى المناهضة لأطماعه . الأمر الذي لا يمكن وصفه بأقل من أنه سفالة سياسية ، إذا ما أردنا أن نتجنب وصفه بالغاء السياسى ..

وفى إطار المحاولات المستمرة التى بذلها ويذلها حتى الآن ، العديد من المفكرين والمتخصصين فى مجالات التحليل السياسى والاجتماعى والتاريخى ، لفهم الأسباب والدوافع ( الحقيقية ) التى حدثت بالعراق إلى اجتياح دولة الكويت على هذا النحو المفاجئ الذى أذهل العالم فجر يوم الخميس الثانى من أغسطس الماضى . اختلفت الآراء وتعددت الاجتهادات حول تعليل هذه الظاهرة الغريبة التى شذت عن كل قواعد السلوك المألوفة فى مجال العلاقات الدولية ، خاصة فى هذه المرحلة التاريخية الدقيقة التى تشهد تحولاً جذرياً نحو نبذ الصراعات والحروب .

غير أن الأمر الذى أجمعت عليه الآراء هو أن العلة تكمن فى شخصية الرئيس العراقى نفسه . ذلك أنه ثبت بالأدلة القاطعة أن هذا الرجل وصل إلى حكم بلاده دون أى تأهيل علمى أو سياسى ، وإنما عبر سلسلة من المؤامرات المقترنة بالعديد من عمليات الإرهاب والتصفية الجسدية لمعارضيه أولمن تصور أنهم قد يشكلون فى أى وقت من الأوقات عقبة فى طريقه للوصول إلى الحكم .

كما تمكن الرئيس العراقى من إحكام قبضته على أجهزة الدولة ومؤسساتها باستخدام ما يجيده من أساليب إجرامية بالغة القسوة انعدم فيها أى رادع من ضمير أو وازع من دين أو أخلاق ، وكان القتل فى نطاقها يقع لأتفه الأسباب ويشكل ( وجبة ) يومية للرئيس ( كما يسميها هو نفسه ) . ناهيك عن التعذيب وامتهان كرامة الإنسان العراقى بتعريضه لأشكال الذل والإيلام الجسدى والنفسى على حد سواء .

وكان طبيعياً أن يتمخض هذا الحكم الوحشى المجرد من كل ملامح الانسانية عن ظهور فئات من المواطنين يسيطر على بعضها الرعب القاتل ويدفعها الخوف الشديد إلى الانقياد التام والاستسلام الكامل . وأخرى يحكمها الجشع والطمع والنزعة الفردية الانتهازية للانتفاع بالنظام عن طريق التملق والنفاق والخيانة والعزف فقط على الأوتار التى يتررب لها الرئيس الرهيب .

ومن هنا جرت محاولات كثيرة للتعرف على عناصر مكونات شخصية الرئيس العراقى ، وكان السبيل إلى ذلك بالطبع إجراء دراسات تحليلية لظروف نشأته وتتبع مراحل حياته . ولقد اختلف المتخصصون حول تحديد

نوع المؤثرات المسيطرة على أفكار وسلوكيات الرئيس العراقي ، والتي تبدو غير منطقية وغير خاضعة لأي من المعايير العلمية أو الاعتبارات الموضوعية المتعارف عليها في مجال السلوك البشرى .

ولقد ذهب البعض في تفسير سلوك الرئيس العراقي الشاذ هذا إلى القول بأنه شخص عبقرى استطاع بذكائه ودهائه أن يحكم قبضته على شعب تعد السيطرة عليه وترويضه من أصعب الأمور ، بشهادة الحجاج بن يوسف الثقفى منذ أكثر من ألف عام . بينما يؤكد البعض الآخر أن الرئيس العراقي ليس إلا شخصا عاديا لا يتمتع بأى قدر من الذكاء ، بدليل أنه فشل فشلا ذريعا فى معظم القرارات المصيرية التى اتخذها خلال فترة حكمه ، وأيضاً بدليل الانهيار الشديد الذى أصاب العراق على يديه فى جميع المرافق وعجزه التام عن الاستفادة من تجاربه والتعلم من التاريخ ، بالإضافة إلى سوء تقديره الواضح للأمور ، مثل حربه ضد إيران ودعمه للعماد عون المنشق على الشرعية اللبنانية واحتضانه لعصابات الإرهاب الدولية ، ثم أخيراً عدوانه على الكويت .

أما بالنسبة للأمور التى استطاع الرئيس العراقي أن يحقق فيها نجاحا حقيقياً ، فتنحصر فى قدرته العجيبة على قمع الشعب العراقي وإخضاعه لإرادته المنفردة باستخدام العنف والبطش والإرهاب وتحويل هذا الشعب إلى أداة لأطماعه ووقود رخيص لنزواته وأحلامه المريضة وتطلعاته لدخول التاريخ كزعيم للعالم العربى والأمة الإسلامية . . . وكما هو واضح ، فإن مثل هذه الإنجازات لا تتطلب أى قدر من الذكاء أو العبقرية ، وإنما تحتاج إلى مواصفات أخرى يمتلكها الرئيس العراقي وحده ، ولسنا فى حاجة لذكرها هنا بالتفصيل . . .

إن الأمر المؤكد - فى رأى هؤلاء الخبراء - هو أن الرئيس العراقي يعانى خللا فى توازنه العقلى والنفسى والوجدانى ، كنتيجة لتراكمات من عقد نفسية ترسبت فى أعماقه منذ أيام طفولته المبكرة ، وانعكست - على سبيل التعويض - فى صورة شخصية سيكوباتية مقترنة بإحساس متضخم بالذات .

وفى هذا الصدد يقول البروفيسور جيرالد بوست إخصائى الأمراض النفسية بجامعة جورج واشنطن : إن شخصية صدام حسين ، هى شخصية

ذهانية تتسم بجنون العظمة النرجسية وعدم الاتزان الانفعالي الذي يجعله عاجزاً عن الولاء لأي فرد أو جماعة أو شعب أو أمة . الأمر الذي يفسر ميله الشديد إلى المغامرة ورغبته الطاغية في ممارسة الإذلال والعدوان .

ويستطرد البروفيسور بوست قائلاً : إن صدام عانى كثيراً بسبب الصراع العنيف بين دوافعه السادية وأحلامه المبالغة في الطموح . الأمر الذي يجعله غير قادر على التمييز بين الممكن والمستحيل . فلقد أخضع الشعب العراقي بشكل غير محدود - تعبيرا عن نزعة الثأر الكامنة في أعماقه ضد الحرمان الذي عاناه في طفولته - وهذا يفسر اتخاذ قرارات خطيرة تتقاطع مع الحقيقة والواقع الذي اضطربت صلته به تماماً . وهذه إحدى الصفات البارزة للشخصية الذهانية التي يعاني صاحبها من « خداع الحواس » ، حيث تبدو له الأشياء على غير حقيقتها .

ولعلنا نستطيع هنا أن نفهم هذا المعنى الذي يقصده البروفيسور بوست بصورة أوضح ، إذا استعرضنا المثال التالي ، وهو عبارة عن لقطة من لقاء أجرته مندوبة تليفزيون أمريكية مع الرئيس العراقي مؤخراً سألته خلاله عن سبب ما لاحظته من وجود عدد هائل يصعب حصره من صوره الشخصية بشتى الأزياء وبمختلف الأحجام معلقة في كل حي وفي كل ميدان وفي كل شارع من شوارع بغداد ، بل وفي كل مؤسسة وكل حانوت وكل بيت من بيوتها ؟ .

ولقد جاءت إجابة الرئيس العراقي عن هذا السؤال كالاتي : « إن الشعب العراقي هو الذي يحب رؤية هذه الصور وبهذه الطريقة في الميادين العامة . . لأنه يعلم أن كل رغيف يأكله المواطن يأتي نصفه من صدام ، وكل ثوب يرتديه نصفه من صدام ، ولأن صدام هو العراق . . . لذا فإنني لا أستطيع أن أمنع إنسانا يحبني من أن يعلق صورتي . وإذا فعلت ذلك فهذا ينم عن قلة ذوق . . . » !

إن علماء النفس وهم يتابعون تصرفات صدام حسين وأفعاله ، يعتقدون أن هذا الهوس الذي يبيده من أجل رؤية صوره في كل مكان ، إنما يعكس في الواقع أزمة الهوية التي يعاني منها صدام حسين بمثل ما يعاني منها ، وبدرجات متفاوتة ، أولئك الطغاة الذين وصلوا إلى مواقع السلطة في

بلادهم عن طريق العنف والإرهاب والتخويف وبأساليب غير مشروعة ،  
وربما أيضاً غير شريفة .

إن العدوان والظلم فى حد ذاته أمر مؤلم للنفس البشرية ومحرم فى  
جميع الشرائع والأديان . غير أن أكثر أشكال الظلم قسوة وبشاعة ، هو ذلك  
الذى يقع من الأخ أو الصديق . بمعنى أن يؤتى المرء ممن لا يتوقع أو من  
حيث « مأمنه » كما يقولون ، ولذا فإنه يطلق عليه فى هذه الحالة « الغدر »  
أو « الخيانة » . . وهذا يذكرنى فى نهاية الحديث بالدعاء الذى يقول :  
« اللهم اكفنى شر أصدقائى . . أما أعدائى فأنا كفيل بهم » . . ولعل  
الحكمة هنا واضحة ولا تحتاج لأى تفسير □



بسم الله الرحمن الرحيم

٦

نعم كيف حسبها  
صدام ولماذا ؟





## قدر

ما يسعدنى رضاء العديد من القراء الكرام عن ما أكتبه ، وهى اجتهادات متواضعة تتناول إلى حد كبير الأحداث السياسية المعاصرة ، مستندا إلى المعلومات المتاحة للجميع وعن طريق الاستقراء والتحليل وقراءة أكبر قدر ممكن من المعلومات فى دائرة واسعة حتى أستطيع أن أقدم للقارئ الكريم شيئا جديدا . وهذا أمر عودنى عليه أستاذى البروفيسور رالف بريانتى خلال دراستى فى الولايات المتحدة ، والذي كان يقول لى دائما : إذا أردت أن تكتب شيئا ، ومهما كان الموضوع الذى تريد أن تكتب فيه ، فلا بد أن يكون ذلك ضمن هيكلية معينة فى تركيبة المقال ، والأهم من ذلك أن تقدم جديدا للقارئ ، وجبذا لو أمكن أن تحتفظ بقدر معين من الالتزام لذاتك بعدم كتابة غير المفيد . ولذلك فإن هذا هو الأمر الذى أرجوه ، المحافظة على أدنى قدر من المستوى .

أقول ، إن بعض الذين قرأوا مقالى فى الأسبوع الماضى ، قالوا لى أن موضوعك كان مبتورا إلى حد ما ، إذ أن من بين العناصر التى تعرضت لها سؤال عن : ( كيف حسبها صدام حسين ، فيما يتعلق باحتلاله للكويت ) .

ولكنك لم تتطرق إلى ذلك بالتفصيل لتبين لنا ما هي وجهة نظرك في هذا الموضوع .

وللحق أقول إن لهذه الملاحظة وجاهاها ، وإن كان هدفي الأساسي من المقال المذكور هو إبراز معنيين : الأول هو أن العديد من رؤساء الدول ، في حقبة تاريخية معينة ، يعجزون عن الاستفادة من عبر وعظات التاريخ . حيث يبلغ بهم الصلف والكبرياء والغرور حدا يتصورون معه أنهم قادرون على خداع العالم بأكمله . بينما هم في الواقع لا يخادعون سوى أنفسهم ، مثلما فعل الرئيس العراقي صدام حسين ، بالدليل فشله وخيبته في أهم القرارات المصرية التي اتخذها طوال فترة حكمه .

أما المعنى الثاني الذي رمت إليه في المقال المذكور ، فهو مشاركة القارئ في محاولة للتعرف على المعطيات التي أوحى لصدام حسين ، أو على الأصح سولت له الإقدام على مغامراته الخاسرة بصفة عامة وعدوانه على الكويت بصفة خاصة . وأظن أننا خلصنا من ذلك إلى أن الرجل - بالدليل العلمي وشهادة المختصين في الطب النفسي - مصاب بما يعرف بالشخصية الذهانية ، وأن من أبرز صفات المصاب بهذا المرض أنه يرى الأشياء على غير حقيقتها ويكون غير قادر على التمييز بين الممكن والمستحيل لأنه يعاني من خداع الخواس .

أما عن ( كيف حسبها صدام حسين ، من الناحية الاستراتيجية ) ، وهذه تشتمل على النواحي السياسية والعسكرية والنفسية والجيوبوليتيكية ، وكذلك من الناحية الإعلامية والناحية الزمانية والمكانية ، فهذا ما سوف أحاول أن أتناوله هنا في موضوع حديث اليوم بالإيجاز الذي تمليه طبيعة العمل الصحفي مع المحافظة على عدم الإخلال بالمعنى قدر الامكان .

فما لا شك فيه أن فعلة الرئيس صدام حسين باحتلاله للكويت ، هي عملية محسوبة منذ زمن غير قصير بشكل مدروس وبعباية فائقة وتنفيذ مرحلي متتابع عبر تحرك واسع على الصعيدين العربي والإسلامي . فلقد أخذ العالم بأكمله على غرة . ذلك لأنه بكل المعايير والأعراف العربية والغربية أوحى في الشيوعية وغيرها ، لم يكن هناك من يتوقع أن يكون العرفان بالجميل من جانب صدام حسين على هذا النحو . وسأحاول أن أتناول هذا الموضوع من خلال النقاط الرئيسية التالية :-

أولا : اعتمد الرئيس العراقي منذ البداية - لضمان تخطيطه الدنيء - تخدير بعض الدول والتآمر مع بعضها الآخر . ولقد تصور أنه يستطيع من خلال هجومه المباغت الغادر على الكويت واحتلالها ومن خلال تقييد مصر بواسطة مجلس التعاون العربي ، السيطرة على منطقة الخليج بكاملها أو حتى امتلاكها . وذلك بتطوير هجومه إلى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية بينما ينطلق عملاؤه لتهديدها من الجنوب ومن الحدود الشمالية الغربية ...

ولقد قرأت في أكثر من مصدر عن تواجد بعض القوات العراقية ، وخصوصا الجوية ، في اليمن وفي الأردن .. بل وإن الشيء الموثق تحت يدي هو أن الطيران العراقي الحربي كان يقوم بطلعات من المطارات الأردنية خلال عام ١٩٨٩ م . ويبدو لي ، وهذا استقراء شخصي بحث ، أن الرئيس العراقي كان يريد من خلال عملياته العسكرية هذه وترتيب أوضاع معينة بواسطتها ، السيطرة على المنطقة الممتدة حتى مضائق هرمز . وذلك لكي تتم له السيطرة على أكثر من ٦٠ بالمائة من المادة الحيوية الاستراتيجية العالمية ( البترول ) وكذلك التحكم في منافذ تصديره ، وأن هذا في تقديري يكمل مرحلة سابقة في المخطط ، التي دفعت لاستعجال إتمام وحدة شطرى اليمن بحيث تتم قبل موعدها المحدد أصلا بنهاية شهر نوفمبر ١٩٩٠ م . وذلك لكي تكون سيطرة العراق على مضيق هرمز في الخليج وباب المندب في البحر الأحمر متكاملة وفعالة ومؤثرة .

ثانيا : من الناحية العسكرية : أقول ، وبإيجاز مقصود ، إن الرئيس العراقي سعى خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية إلى توجيه الدعم الخليجى الذى تلقاه بسخاء لإقامة العديد من الصناعات العسكرية الهامة التى تقع ضمن ما يسمى « الأسلحة الاستراتيجية ذات القدرة التدميرية العالية » . ومع أن بعض أنواع هذه الأسلحة محرم دوليا ، إلا أنه يبدو أن القاموس الذى يتعامل من خلاله الرئيس العراقي لا توجد به كلمات مثل « محرم » أو « أخلاقى » أو « دينى » .. إلخ .

لقد ركز الرئيس العراقي اهتمامه على تطوير الصناعات الحربية الكيماوية بتعاون ألماني شرقى وتم له تكوين قدرة عراقية محلية لإنتاج محدود من الصواريخ والأبحاث المستمرة لتطوير تلك القدرات .

كذلك تم تكوين سلاح جوى لا بأس به ، عماده طائرات ميراج الفرنسية وميج الروسية المتقدمة مثل ( ميج ٢٣ ) ، ( ميج ٢٥ ) ، وأيضا سوخوى . كذلك لديه قدرة محدودة لقاذفات القنابل من الطراز القديم . كما استطاع أيضا تكوين سلاح مدرعات من الدبابات والمدفعية . أما محاولات العراق لتطوير قدراته النووية ، فلن أتطرق لها هنا لسببين : الأول هو أن هذه القصة تحتاج للمزيد من البحث والتقصي . والثاني أن معظم أطرها العريضة معروفة للجميع .

ثالثا : بعد أن استعرضنا بإيجاز التخطيط العسكري العراقي ، أود أن أتطرق هنا إلى رديف ذلك التخطيط من ناحية الأهمية والخطورة . ذلك هو التخطيط الإعلامي الذي سأتناوله أيضا بإيجاز . فلقد سعى الرئيس العراقي منذ البداية إلى امتلاك قدرة هندسية إذاعية فائقة القوة ، حيث تم في هذا الإطار بناء إذاعة تعد من أقوى الإذاعات العالمية ، قوامها عشر مرسلات طاقة كل منها ٥٠٠ كيلووات . وهو يستخدم العديد منها حاليا للتشويش على الإذاعات العالمية مثل ( صوت أمريكا ) و ( بي . بي . سي ) وغيرها . . . مع إغراق المنطقة ببث عراقي غث كثيف ومتصل .

وكما سبق وأن ألمحت ، فإن الرئيس العراقي يستعين بخبرات ألمانية شرقية في مجال التخطيط الإعلامي ، وهذا واضح كل الوضوح من خلال الأسلوب الإعلامي العراقي ( كثافة إعلامية تصل إلى حد الإغراق ، بصرف النظر عن انعدام مصداقيته وتفاهة المضمون + زخم مستمر من المعلومات المضللة والأكاذيب التي يسخر منها حتى الأطفال ) . وبالطبع لا ننسى هنا الشق الأهم في العملية الإعلامية العراقية ، وهو منع الشعب أو عزله تماما عن الاستماع لأي صوت غير صوت الأبواق العراقية . وهذا هو ما مارسه العراق خلال سنوات حربه مع إيران كعملية ذات شقين : أولهما إجراء غسيل دماغ من خلال سيل منهمر وتيار لا ينقطع من المعلومات الكاذبة ، والثاني عزل الشعب العراقي عن بقية مصادر الأخبار الآتية من خارج العراق .

وعلى صعيد آخر كان العراق قد بدأ حملة إعلامية في العديد من الدول العربية تواكبت مع بداية العمل في مجلس التعاون العربي وشملت اليمن والسودان والأردن بالدرجة الأولى ، بالإضافة إلى بعض دول الشمال الإفريقي . وتمثلت تلك الحملة في الرشوة واستقطاب الأعلام المأجورة

والمحتاجة (وما أكثرها في هذه المنطقة) وذلك من خلال تنظيم دعوات للصحفيين الشبان لزيارة العراق مجاناً ثم إغداق الهدايا عليهم ، بدرجة قدرها بعض المطلعين على مثل هذه الأمور بما يربو على حمولة ثلاث طائرات من طراز جامبو سنويا . وكذلك عن طريق المنح الدراسية والندوات والمهرجانات وغيرها . الأمر الذي جنى العراق ثماره بعد احتلاله للكويت وحتى الآن ، وإن يكن بدرجات متفاوتة فيما بين المنطقتين الأولى والثانية السالف الإشارة إليهما . ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن النظام العراقي استغل الأيديولوجية البعثية لإغراء بعض الدول وعلى الأخص قياداتها ، لكي تدور في فلكه على النحو الذي نراه الآن .

رابعا : لقد لعب صدام حسين - ضمن مخططة الدئء - بما يمكن أن نطلق عليه ( ورقة الشارع الإسلامي ) لأن هذه ، وكما قيل من قبل بعض أزمالاه ( رابعة الأثافي ) . حيث أن القاصى والدانى يدرك إدراكا تاما تلك المساحة الهائلة التى تفصل بين النظام البعثى العراقى العلمانى الذى أسسه النصرافى ميشيل عفلق وبين الإسلام والمسلمين . وهذا أمر واضح فيما يقرأه المرء أو يسمعه مما تنضح به أبواق صدام حسين ، وعلى لسانه شخصيا ، عن الإسلام والمسلمين . الأمر الذى يذكرنا بما قاله الأعرابى قديما : « إن لم تستح فافعل ما تشتهى » ..

ولن أطيل فى هذا البعد ، على الرغم من أهميته ولعب النظام العراقى عليه سواء من الناحية الدينية أو من ناحية الإثارة والتحريض بمزاعم كاذبة ومضللة حول سلامة والمساس بقدسية وأمن مكة المكرمة والمدينة المنورة . الا أننى ، وكما أشرت ، لا أنكر أنه يسهل استغلال السذج وخداعهم بمثل هذه الأباطيل ، ولكن من حسن الحظ أن هؤلاء قلة قليلة إلى جانب الشريحة العريضة من المثقفين المسلمين الذين يدركون بسهولة بلاهة هذه الادعاءات .

وخلاصة القول ، أنه على الرغم من ادراكى بأن بعض القراء قد يرون أيضا أن مقالى هذا قد يكون مبتورا كسابقه ، إلا أننى أود أن أؤكد بأن الهدف الأساسى لصدام حسين ليس احتلال الكويت فحسب ، بل وأيضا ظهوره على المسرح العالمى كقوة عظمى ، ليس فقط فى المنطقة العربية ، بل وأيضا فى المنطقة الإسلامية وحتى الآسيوية . ومن يدرينا ، فلعل طموحه يكون مهياً للامتداد إلى قبرص واليونان على الناحية الأخرى من البحر المتوسط .

إن فعلة الرئيس العراقي وتوقيتها سولت له أمرا ، حيث اعتقد أنه سيخرج منه منتصرا وكقوة عظمى على مسرح الأحداث العالمية . قوة عظمى يجب أن يحسب لها حساب حين التعامل معها ابتداء من أمريكا وحتى هايتى . إلا أننى على يقين بأن احتلال العراق للكويت شكل مرحلة العد التنازلى للرئيس العراقي ، وباليته كان ممن يقرءون التاريخ ويستوعبون دروسه □

بسم الله

٧

الخيار الأخير





### تعددت

الآراء وتنوعت الاجتهادات من جانب أولئك الذين وجدوا لديهم الحماس الكافي والدافع الطوعي أو الإلزامي لبذل محاولاتهم في سبيل تقديم رؤية واضحة أو تفسير مقنع وتعليل منطقي لما قام به العراق من عدوان آثم على دولة الكويت . ولكن أحدا ، على ما يبدو ، لم يتمكن من تحقيق هذه الغاية بشكل قاطع ، بل ولم يستطع العراق نفسه ، وهو الفاعل الأصلي للجريمة ، تقديم مثل هذا التفسير برغم مضي خمسة أشهر منذ بدء عدوانه حتى الآن .

ومع ذلك فإن هناك عددا من الحقائق التي لا مجال للاختلاف حولها بشأن هذا الموضوع . منها على سبيل المثال ، أن الآثار السلبية المدمرة التي أفرزها هذا الحادث تماثل تماما ، إن لم تكن تفوق ، تلك التي تخلفها الزلازل . من حيث أنها غيرت بصورة مأساوية شديدة الإيلام للنفس ، العديد من المعاني النبيلة في محيط الأخوة والثقة والتضامن والأمن العربي والإقليمي ، كما قلبت الكثير من المفاهيم والثوابت الراسخة التي طالما أخذناها على أنها من المسلمات البديهية .

لهذا لم يكن مستغرباً أن تحتل هذه القضية الحيز الأكبر من مشاغل الدول الخليجية والعربية وتستحوذ على كامل اهتمام المواطن الخليجي والمواطن العربي الذي يعيش أو ينتمي إلى هذه المنطقة من العالم طوال الأشهر الخمسة الماضية ، وذلك من خلال العديد من التساؤلات الحائرة ، مثل : لماذا فعلها صدام حسين ، وكيف سولت له نفسه أن ينكل بشعب عربي مسلم شقيق وصديق ومسلم يمثل هذه القسوة المفرطة والأسلوب الوحشي المتجرد من كل معاني الرجولة والإنسانية والشرف المفترض في أى إنسان حتى ولو كان بدائياً جاهلاً ومهجياً متخلفاً لا يعرف من أمور الدين والإيمان بالله شيئاً ولم يسمع قط عن ماهية الأخلاق والحضارة والمدنية .

إن السؤال الأكثر إلحاحاً الآن ، وبعد أن اتخذ مجلس الأمن الدولي قراره رقم ٦٧٨ الذى يسوغ استخدام القوة لطرد العراق من الكويت إذا دعت الضرورة ، وبعد أن انقضت أكثر من ثلثي المهلة الممنوحة للعراق للانسحاب سلمياً من الكويت ، هو : هل يثوب صدام حسين إلى رشده قبل فوات الأوان وينسحب في الوقت المناسب حقناً لدماء المسلمين وإنقاذاً لأرواح الأبرياء من شعبه بشكل خاص ؟ ، بل وهل لصدام أصلاً رشد يثوب إليه ؟ ، ثم ما هو شكل مستقبل العلاقات العربية العربية والعربية الدولية بعد انقشاع هذه الغمة ، بل وما هو شكل المستقبل في حد ذاته ؟ ...

إننى لا أكتب اليوم لكى أكرر ما سبق وأن ذكرته في أكثر من حديث جرى حول أزمة الخليج ، أو ما ذكره العديد من أصحاب الرأي وقادة الفكر وفرسان القلم بهذا الخصوص . ولكننى أحاول فقط عرض رؤيتي الشخصية وتصوري لما يمكن أن يكون إسهاماً أو مشاركة عملية في تقديم الإجابة عن التساؤلات المشار إليها سابقاً ، والتي تدور حول الرغبة في التعرف على النهاية المتوقعة لهذه الأزمة . وسوف أعتمد في ذلك على أسلوب الاستقراء الموضوعي للمعطيات الماثلة أمام أعيننا ، وعبر طرح بعض الافتراضات الجدلية المنطقية وتحليلها على النحو التالي :-

أولاً : انسحاب العراق طوعاً قبل ١٥ يناير القادم :-

كان يمكن أن يتحقق هذا الافتراض فعلاً من خلال تطبيق كامل وصارم للعقوبات الاقتصادية التي أقرها مجلس الأمن ضد العراق . حيث أن

التطبيق العملي الفعال لهذه العقوبات كان حريا بأن يؤدي إلى تآكل قدرات العراق العسكرية والاقتصادية والصناعية والغذائية ... إلخ ، الأمر الذي يحرم الرئيس العراقي من القدرة على الاستمرار في الصلف والعناد والمكابرة ويجبره على الانسحاب .

غير أن السوابق التاريخية لتطبيق مثل هذه العقوبات ليست مشجعة وقلما حققت أغراضها كاملة . خاصة إذا علمنا أنه ( في إطار أزمة الخليج الحالية ) توجد بعض نقاط الضعف المتمثلة في دول لا تريد الالتزام بتطبيق الحظر بشكل كامل وأمين ، وهي دول لها مصالح ذاتية بحتة في مخالفتها للحظر الدولي . وعلاوة على أن خرق الحصار الاقتصادي من جانب بعض الدول يتسبب قطعاً في إضعاف فاعلية الحصار وإحباط الهدف الذي ينشده المجتمع الدولي من وراء تطبيق العقوبات ، وهو دفع العراق إلى الانسحاب سلمياً بغير عنف وبغير دماء . فإن هذا السلوك في تقديري مقصود من جانب بعض الدول التي تمارسه لكي تغري الرئيس العراقي بالتمادي في صلفه وعناده وإعطائه الإحساس الكاذب بقدرته على تحدى العالم كله والاستمرار في مماطلاته وتسويفه . مما يدفع القوى الدولية للقضاء عليه . خاصة وأن صدام حسين نفسه لا يرى لانسحابه سوى واحدة من نتيجتين :-

١ - فإذا أن تتم الإطاحة به من الداخل بسبب استسلامه المخزى لإيران ثم فشله في الاحتفاظ بالمحافظة التاسعة عشرة ، بعد أن كان قد أكد لشعبه وجيشه مرارا وتكرارا أن تضحياتهم هذه المرة سوف لن تذهب هباء كما ذهبت في المرة السابقة ( حربه مع إيران ) .

٢ - وأما أن يتمكن ، بطريقة أو بأخرى ، من البقاء في الحكم ( ولو على سبيل المكافأة عن إفراجه عن الرعايا الغربيين إكراما وتكريما لأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية ... إلخ ، وأيضا لانسحابه من الكويت ) . وهو يأمل في هذه الحالة أن تجد الدول المناهضة لأطماعه والمصممة على طرده ، نفسها أمام وضع يحتم عليها تفكيك حشودها والعودة إلى بلادها . الأمر الذي يؤمن له الفرصة المناسبة للإفلات من العقاب ، ويتيح له أيضا إمكانية معاودة تحقيق أطماعه بعد إعداد أكثر دقة وإتقاناً وفي ظروف أكثر ملاءمة ..

وهنا لابد من الإشارة إلى طبيعة صدام حسين الانتهازية المعروفة ، والتي تدعونا للاعتقاد بأن تصرفه في حالة تمكنه من الخروج من هذه الأزمة

سليماً معافى ، محتفظاً بموقعه وبكامل قواه العسكرية ، سوف يعتمد ، وإلى حد كبير ، على شكل ودرجة صلابة الموقف الدولي الذى يواجهه .

ثانياً : خيار طرد العراق بالقوة من الكويت .

إن هذا الافتراض يعنى بالطبع اللجوء إلى القوة عن طريق الحل العسكرى إذا لم يرضخ صدام حسين لقرارات المجتمع الدولي ولم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لاتخاذ قرار الانسحاب طوعاً من الكويت قبل ١٥ يناير القادم .

ومع أننى أكاد أجزم بأن الشغل الشاغل لصدام حسين حالياً هو البحث عن أفضل وسيلة آمنة يمكنه من خلالها الانسحاب بدون التعرض للعقاب سواء من الداخل أو من الخارج . إلا أننى لا أستطيع استبعاد خيار الحرب أيضاً ( وهذا رأى شخص بحث مستمد من الواقع الحالى ) . ليس فقط لأننى أشك فى أن يتمكن صدام حسين من العثور على مثل هذا الطريق الآمن الذى يبحث عنه ، بل وأيضاً لأنه عاجز ، فيما لو وجدته ، عن المضى فيه والاستفادة مما أتيج ويتاح له من فرص السلام . وذلك لأسباب تتعلق بطبيعة شخصية صدام حسين نفسه والتركيبية النفسية لهذه الشخصية .

لذلك فسوف يظل صدام حسين ، على أغلب الظن ، واقفاً فى مكانه غير قادر على الحركة للأمام أو الخلف أو اتخاذ أى خطوة إيجابية فى انتظار وقوع معجزة تنقذه من هذا الموقف دون أن يبدو أنه تراجع أو رضخ أو تنازل ، مثل حدوث انشقاق مثلاً فى صفوف القوى المواجهة له أو فيما بين هذه القوى ودول الخليج .

ويعتقد الكثير من المحللين العسكريين أن أى حرب لإجبار صدام حسين على الانسحاب من الكويت سوف تكون باهظة التكاليف ، كما أن هزيمة العراق فى هذه الحالة مؤكدة وساحقة ، الأمر الذى يجعلنا نواجه واحداً من احتمالين : إما أن يختفى صدام تماماً ومن ثم يقفل الملف العراقى حيث سنكون وقتئذ أمام عراق آخر مختلف كل الاختلاف . وإما أن يتمكن صدام من الإفلات بحياته . ومع أن هذا الاحتمال ضئيل جداً ، إلا أنه لو حدث فسوف يحاول صدام فى هذه الحالة تقديم نفسه للعالمين العرب والإسلامى كبطل قومى استطاع أن يتحدى الولايات المتحدة وأن يقف فى وجه القوى

العظمى مجتمعة . وسوف يكون في هذا إشارة واضحة لكل دول المنطقة بما لا يحتاج لأى تفسير ...

ثالثا : افتراض التخلص من صدام حسين بالتصفية .

بعد أن وقع العدوان العراقي على الكويت وافتضح أمر الكثير من الممارسات الإجرامية البشعة للنظام القمعى الإرهابى الذى أقامه الرئيس العراقى صدام حسين ضد شعبه ، مستعينا بشبكة من المنظمات الحزبية السرية التى كانت وما زالت تعد على المواطن العراقى أنفاسه ولا تتورع عن قتله أو تعذيبه أو قتل أبنائه أمام عينيه وأفراد أسرته لمجرد الشك فى ولائه للنظام .

ولقد تبين للجميع كذلك أن صدام حسين لم يكن مؤهلا بأى حال من الأحوال لحكم البلاد ولا يمتلك من مقومات الزعامة أو القيادة أو الرئاسة إلا ما يرتديه من ملابسها . غير أنه وصل إلى منصبه هذا عن طريق ميزة أخرى لا يشاركه فيها الكثيرون ، وهى براعته الفائقة فى تدبير وحك المؤامرات وقدرته غير العادية على التمويه والخداع وإخفاء حقيقة مشاعره قبل الانقضاض على فريسته التى يضمم الغدر بها ، إلى جانب موت ضميره ومشاعره الإنسانية وعشقه الطاغى لسفك الدماء البشرية أو على الأقل الاستمتاع برؤيتها . وكما تقول إحدى الشخصيات العراقية البارزة والتى لا يرقى الشك إلى شهادتها ، إن صدام حسين لا يستطيع النوم إلا إذا شهد بعض عمليات الإعدام أو التعذيب ، أو شاهد هذه الوقائع مسجلة على شريط الفيديو .

ومن المعلومات الأخرى المتواترة والتى أصبحت متداولة بعد العدوان ، أن عدد الذين تم إعدامهم من أفراد الشعب العراقى سواء بيد صدام حسين نفسه أو بأوامر مباشرة منه ، وهو فى طريقه إلى الحكم أو تأمينا لنظامه ، بلغ حتى الآن ٥٠,٠٠٠ نسمة ، كما بلغ عدد المهاجرين الفارين من بطشه وطغيانه ما يربو على المليون نسمة ، وعدد القتلى والجرحى والمعاقين من ضحايا حربه العبثية ضد إيران أكثر من مليون شخص أيضا ...

وهنا يتبين أن لكل أسرة عراقية واحدا على الأقل من هؤلاء الضحايا ، لو أضفنا إلى ذلك حجم الجحيم الذى ينتظر أن تسببه الحرب القادمة لتحرير

الكويت وخسائرها البشرية المخيفة المتوقعة والتي يدركها الكثير من العراقيين . فسوف لا يدهشنا على الإطلاق أن تأتينا الأخبار في أى وقت خلال الأيام القليلة القادمة بنأ انقضاى الشعب العراقى على صدام حسين والتصرف معه بمثل ما تصرف الشعب الرومانى مع شاوشيسكو .

ومع أنه لا يمكن التنبؤ بمن سيحل محل صدام حسين فى حالة تنفيذ مثل هذا السيناريو ، إلا أن هذا سوف يعتمد على هوية من يقوم بهذا العمل . غير أنه يمكن القول بأن أيا كان من سيحل محل صدام حسين ، فسوف لا يكون من الصعب عليه الانسحاب من الكويت والعمل على إصلاح ما أفسده سلفه .

رابعا : افتراض تثبيت صدام حسين بالكويت وعدم تراجعه عن احتلالها .

بالرغم من أن هذا الافتراض بعيد الاحتمال بدرجة كبيرة ، إلا أنه من الناحية النظرية البحتة ممكن الحدوث . . فمع أن الغالبية العظمى من القوى الدولية ترغب فى التوصل إلى حل سلمى لهذه الأزمة يجنب العالم ويلات حرب لا يعلم إلا الله نتائجها ، إلا أنها أصبحت على قناعة بعدم جدوى العقوبات الاقتصادية إذا لم يستمر تطبيقها لمدة طويلة ، فى حين أن القضية لا تحتمل الانتظار .

ومن ناحية أخرى ، ومع مرور الوقت ، فسوف تقل تدريجيا تهديدات صدام حسين . ولكن يتعين أن ننتبه هنا وأن نضع فى الحسبان أنه إذا تناقص التهديد العراقى الموجه إلى المملكة العربية السعودية من ناحية ، فسوف تبرز من الناحية الأخرى بعض القوى الإقليمية التى تقوم بنفس المهمة ، سواء لحسابها الخاص أو بالاتفاق مع العراق بهدف تخفيف التركيز الدولى على الأخير .

وخلاصة القول ، أنه وقد ثبت بالدليل المادى القاطع أن صدام حسين لم يكن على الإطلاق ، مؤهلا لاعتلاء مسرح السياسة الدولى كزعيم أورئيس يمتلك السلطة لاتخاذ القرارات المصيرية فى بلاده ، وأنه يجهل جهلا تاما أصول وقواعد اللعب على هذه الساحة الخطرة . حيث زج بنفسه ودفع بفرقته البائسة لأداء المشهد الأول من مأساة احتلال الكويت دون أن يعرف مسبقا تفاصيل أو حتى ملامح بقية الفصول الأخرى ، بل ودون أن يدرك حتى كيف

ينهى فصلها الأول . لذلك فإن علينا أن نتصور هذه النهاية بأنفسنا ، والتى لا أرى لها سوى خيارات محدودة جدا ، بناء على ما يفرضه الواقع الدولى الحالى ، وهى بصرف النظر عن ترتيب الأولوية على النحو التالى :-

١ - فيما أن يبدأ صدام حسين انسحابه ( تحت أى ذريعة ) قبل الخامس عشر من يناير على أن يطلب بعد ذلك ( عبر توسط بعض الدول ) إعطاء مهلة لإتمام الانسحاب ، مع محاولة التلکؤ والمساومة من وقت لآخر للحصول على بعض المكاسب ، أو على الأقل إعفائه من العقوبات .

٢ - وأما أن يعجز صدام حسين عن اتخاذ هذا القرار ، ويتم إزاحته داخليا ، ومن ثم تأخذ القضية طريقها نحو الحل ، باعتبار أن العلة تكمن فى شخصية صدام نفسه .

٣ - أما الخيار الأخير ، فهو الحرب ما لم يكن منها مفر بالطبع . وعندئذ سوف تتوزع الخسارة على جميع الأطراف المشار: " غير المشاركة على السواء ، وسوف يتقبلها الجميع باعتبار أن حماية العدالة اسوئية وصيانة المبادئ الأخلاقية لها ثمن لا بد من تحمله .

أما العراق فسوف تكون خسارته أكثر من فادحة وستمتد آثارها السلبية إلى أجيال قادمة . ليس فقط لأن الغضب الدولى سوف ينصب عليه وحده ودون أن يتحمل أحد عنه أى نصيب ، بل ولأنه أيضا سوف يدرك ، ولو متأخرا ، أنه كان الطرف الوحيد الذى خسر بغير قضية . تماما كما حدث له ، وبشكل مصغر ، فى حربه مع إيران □





جنون

٨

جنون القوة ..  
وقوة الجنون



إن

بناء الإنجازات الحضارية الكبرى ، أمر يحتاج إلى عمل جاد مخلص وجهود مكثفة ومتصلة ييذلها عشرات الآلاف من الرجال الأكفاء المؤهلين عبر سنوات طويلة ، وربما لأجيال متعاقبة . أما هدم مثل هذه الإنجازات ( والعياذ بالله ) ، فقد لا يتطلب أكثر من جهد معنوه واحد فاقد الرشد أو مجرم معدوم الضمير يملك عودا من الثقاب ، لكى ينجز المهمة فى ثوان معدودات ...

هذه بالطبع ليست نظرية فلسفية ولا هى نظرة رومانسية تشاؤمية ، وإنما هى حقيقة موضوعية واقعية من حقائق الحياة المعروفة للجميع ، أحاول من خلالها أن أعبر عما يجيش به صدر كل منا تجاه ما يجرى حاليا على ساحة أحداث المأساة التى نعيشها فى الوقت الراهن والمعروفة بأزمة الخليج ، أو التراجيديا التى أوشك الستار أن يسدل على فصلها الأول لتتوالى بعده فصول أخرى لا نعرف شيئا عن شكلها مثلما لا نعرف شيئا عن مضمونها ..

فنحن نعرف أن العالم على اختلاف أجناسه وشتى عقائده يقف الآن صفا خلف رأى واحد عبر عنه من خلال قرارات مجلس الأمن الدولى المتعاقبة

التي تقضى بضرورة وضع نهاية حاسمة وسريعة للعدوان العراقي وإنهاء احتلاله للكويت وإزالة مظاهر تهديده للمملكة العربية السعودية عن طريق حشد قواته العسكرية على حدودها .

ونحن من جانبنا على ثقة تامة من عزمنا الأكيد وإصرارنا القاطع لتحقيق هذه الغاية ، سواء بالطرق السلمية أو عبر الحرب التي ندرك تماما حجم تكاليفها الباهظة ، ولكننا على استعداد المؤمنين لتحمل كل ما يتطلبه الدفاع عن الحق والذود عن الأراضي وحماية العرض والشرف والكرامة الوطنية مهما كان الثمن فادحا والخسائر جسيمة . فنحن نؤمن ونسلم بقوله تعالى في محكم التنزيل « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وأنا هنا لا أتحدث عن تكاليف الحرب من حيث حجم خسائرها المادية في الأرواح والأموال فقط ، وإنما أعنى بذلك أيضا الخسارة الكبرى المتمثلة في ذلك الضباب الكثيف الذي أصبح يحيط بمستقبل العلاقات العربية بعد أن تلقت ضربة قاصمة بعدوان العراق على الكويت وما تمخض عن هذا العدوان من آثار مدمرة مادية وأدبية ومعنوية وأخلاقية وحضارية ، وأيضا من خلال أساليب الخداع والتضليل التي مارسها الرئيس العراقي شخصيا في إطار هذه العلاقات وتحت ستارها .

وحتى لا يدعى البعض ، أو حتى يتصور عن حسن نية ، أنني أبالغ أو أتجنى عندما أصف أساليب الرئيس العراقي بالخداع والتضليل والنفاق ، فسوف أستعرض مع القارئ بعض نماذج من أقوال الرئيس العراقي التي سمعتها منه بنفسى علاوة على أنها منشورة في واحدة من أكثر الصحف العراقية ولاء له والمسماة « قادسية صدام » ، في عددها الصادر بتاريخ ٧/٩/١٩٨٨ ، وكان ذلك بمناسبة استقباله لأعضاء وفود الدورة الثالثة والعشرين لمجلس وزراء الإعلام العرب المنعقد وقتئذ في بغداد .

يقول الرئيس صدام حسين عن إيران ، التي كانت قد أعلنت قبل ذلك التاريخ بقليل قبولها لقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ القاضي بوقف القتال بينهما : « إن شاء الله سيوصل وقف إطلاق النار إلى سلام دائم وشامل يحفظ كرامة الإيرانيين وكرامة العرب ، لأن العرب ليسوا من النوع الذي يهين كرامة ،

لأنهم أناس يحترمون كرامتهم ، ولذلك لا يهينون كرامة أى شعب وأية أمة .. !

ثم يقول الرئيس العراقى : « كلنا نحن العرب أنظمة شتى ، ولكن المطلوب منا أن لا نبحث عن إلغاء أبنية قائمة وأن لا نفتت نسيجاً قائماً ، وإنما نبحت عن خيمة كبيرة مشتركة تغطى كل الخيم الأخرى فتصبح فوقها بدون أن تنتقص من أية خيمة من خيمنا الوطنية سواء فى العراق أو فى الكويت أو فى قطر أو فى دولة الإمارات أو فى أكبر دولة فىنا وأصغر دولة فىنا » .. !

وفى موضع آخر من حديثه يقول الرئيس العراقى : « فيما سبق ، تحت ضغط عوامل الحماسة والرغبة الصادقة فى أن نصبح حالة أفضل كعرب ، ربما فكر من فكر منا بأن إلغاء بعض الخيم هو الطريق للوصول إلى الخيمة الأكبر ، بينما التجربة الحقيقية والرؤية الواقعية والمبدئية أيضاً تقتضى أن نفتش عن خيمة مزرکشة جميلة تكون سياجاً آخر فوق خيمنا دون أن تؤثر على خصوصياتنا . فتقى خيمنا من كل الأنواء الجوية ، فما هى هذه الخيمة ؟ .. الدرجة الأساس التى تنطلق منها هى الروح الأخوية التى تبنى بيننا كعرب ، أى أن نتسامح مع بعضنا البعض عندما نخطئ . وعندما يخطئ أى واحد منا ونفتش معا عن فهم العوامل التى تجعل أى واحد منا يضعف أمام حالة معينة وأن نعاونه لكى يصبح أقوى كما نرشد القوى منا لأن تكون قوته مبصرة وليست غاشمة ، وأهم ما فى القوة المبصرة هو احترام خصوصيات أشقائه كلهم » !

كذلك يقول الرئيس العراقى : « ... فلا يكفى إخوان أن تكون السعودية أفضل من عدد من الأقطار العربية بقياسات المستوى العلمى أو بالقياسات الأخرى ، لأن هذا إن حصل فسيركز التآمر على السعودية ( !!! ) وستصبح السعودية غير قادرة على تحمل التآمر ، لأنه بقياسات أعداء الأمة أى عملية نهوض وإشعاع واقتدار ينمو فى أى قطر لابد أن ينعكس إيجابياً على الأقطار الأخرى بموجب منهج التعاون الأخوى وبموجب قياسات كوننا أمة واحدة وبموجب قياسات شتى » ...

ثم يستطرد : « .. فالأمة العربية فى كل منهجها وقبل أن نكون نحن وقبل أن تخلق دولنا الحالية ، كان منهجها دائماً منهج سلام ومنهج محبة ومنهج إشعاع لا منهج تسلط ، ومنهج تفاعل لا منهج عدوان بكل تاريخ

الأمة العربية ، فليس معقولا أن ينسلخ هذا الجيل عن تاريخه ويصبح عدوانيا لمجرد أن يصبح لديه اقتدار مالى أو عسكرى أو علمى أو غير ذلك !!

ويقول الرئيس العراقى أيضا فى نفس حديثه الملحمى : « إذن ، فمن النقاط الأساسية التى توصلنا إليها بسبب خبرتنا الميدانية التى هى خبرة حرب ثمانى سنوات ، هى ، يجب أن لا يوجد عربى يخاف من عربى آخر فى الوطن العربى ، لأنه عندما يخاف من العربى سوف يذهب ليجلب الأجنبى لمساعدته » . . . ثم يقول أيضا : « ومن أهم المسائل التى يجب أن ننتبه لها هو التدخل فى الشؤون الداخلية ، وأقولها الآن بقوة لأننى لو قلتها بنفس القوة قبل أربع سنوات لقليل إن هذه تنطلق من ظروف العراق كونه يحارب ولا يريد من أحد أن يتدخل فى شئونه الداخلية » . . .

وفى آخر النماذج التى يمكن أن يتسع المجال لاستعراضها هنا من حديث الرئيس العراقى يقول : « كل هذه الأفكار لدينا لا تأتى بصيغة بيانات . . وان كانت لدينا وبحمد الله . إننا تحدثنا عن هذه الأفكار فى شباط عام ١٩٨٠ بصيغة مكتوبة ومعلنة على العالم . . أى قبل قيام الحرب بسبعة أشهر ، ومع ذلك فإن الكثير من الأفكار ومنها عدم التدخل فى الشؤون الداخلية كنا نحكيها مع بعض أشقائنا ولكننا لم نكن نتابعها معهم بالتفاعل فى الآراء بالأخذ والعطاء لتعرف هل يقبلونها منا ؟ ، وماذا يضعون علينا من شروط حتى يتأكدوا أن كلامنا صحيح وليس للاستهلاك بسبب ظروف الحرب كما قلت !! . ومن بينها أيضا أن العربى لا يستخدم سلاحه ضد عربى ! . يا أخى إذا أردت أن تجرب سلاحك فأعداء الأمة العربية كثيرون ويعجزون الشخص الذى يريد أن يستخدم سلاحه ! . وضد من تستعمل السلاح ؟ ، ضد العربى ؟ ! . دع العربى يحس بأن سلاح أخيه أينما كان هو سلاح له معلق فى المشجب ، إما أن يستخدمه أخوه عندما يكون فى ضائقة أو هو يستخدم السلاح عندما يكون فى ضائقة . . لا أن يقوم كل واحد منا بحسب للعلاقة بيننا وبين أجنبى ، وكم طائفة عند أخينا وكم دبابة وكم مدفع . ونحن: كيف نكون ؟ وكم يجب أن يكون عدد طائراتنا ودباباتنا ومدافعنا حتى نكون فى حالة المنازلة فى وضع القادر ؟ ! . .

وبغض النظر عن ركافة الأسلوب وتدننى مستوى التعبير وغموض الدوافع المريبة لاختيار مضمون الحديث فى حد ذاته ، فإن السؤال الذى

يطرح نفسه هنا هو : « هل يجد القارىء بعد ذلك أنه ما زال بحاجة إلى تعليق أو تفسير أو إيضاح يؤكد له أنني لم استخدم صيغ المبالغة أو الجأ للتجنى في وصفى للرئيس العراقي ، سواء من خلال هذا المقال أو في المقالات السابقة ، وأننى لا أنطلق من رغبة في الرد على السباب الهابط والاتهامات الباطلة التى أمطرتنا بها وسائل الإعلام العراقية وتلك المتعاونة معها سواء بدافع الحقد أو بالعمالة ؟ » .

إننى شخصياً أعتقد أن قليلاً من إمعان الفكر فيما ورد من نماذج (محدودة) لبعض أقوال الرئيس صدام حسين ، ومقارنة هذه الأقوال بما فعله من خلال أزمة الخليج وما تلاها ، فيه كل الكفاية والدليل القاطع على أن الرجل يعانى فعلاً من حالة توصف في الطب النفسى بالشخصية غير السوية التى يسيطر عليها الخوف الدائم والحقد الدفين الذى يولد لدى صاحبه الرغبة الجارحة فى السعى لاكتساب القوة وجنون العظمة وحب الانتقام والمبالغة فى القسوة وتقدير الأمور على غير حقيقتها من خلال الأوهام التى تدور فى رأسه وحده .. إلخ . أما فى عقيدتنا المطهرة فقد وصفها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بقوله : « آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان .. » وفى قول آخر ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » . وهذه الصفات جميعها متوفرة بغير استثناء فى شخصية الرئيس صدام حسين .. فمن أين إذن يمكن أن تأتى المبالغة أو التجنى ؟ .

إن المرء لتنتابه الدهشة ويتملكه العجب عندما يتأمل تصرفات هذا الرجل الذى لا يعرف الخجل والحياء سبيلاً إلى وجهه الثلجى الجامد التعبير وضميره المتبلد الحس والمتجرد من العاطفة والرحمة . ففي الوقت الذى يقول : « كان منهج الأمة العربية قبل أن نكون نحن وقبل أن تخلق دولنا الحالية ، هو منهج سلام ومحبة وإشعاع وتفاعل لا منهج تسلط وعدوان بكل تاريخ الأمة .. » وليس معقولاً أن ينسلخ هذا الجيل عن تاريخه ويصبح عدوانياً لمجرد أن يصبح لديه اقتدار مالى أو عسكري .. إلخ » ، نجد أنه ينقض على دولة جارة صغيرة ضعيفة مسالمة عربية مسلمة ، بنذالة يعجز أمامها التصور لكى يجردها من تاريخها ومن ثرواتها ، بل وحتى من اسمها ..

وفى الوقت الذى يقول : « يجب أن لا يوجد عربى يخاف من عربى آخر ، لأنه لو خاف من عربى مثله يذهب ليجلب الأجنبى .. لمساعدته » ،

نراه يقوم بنفسه بتجسيد هذا التهديد والإرهاب ، ليس فقط من خلال الأقوال ، بل وأيضا بالأفعال والحشود العسكرية . ثم يتعجب من جلب الأجنبي ويتباكى على العروبة ويتهم غيره بالخيانة ...

إن هذا التناقض الواضح الفاضح أصبح أمرا معروفا ومفروغا منه ونتوقعه من الرئيس صدام حسين في كل وقت ومع كل قول يقوله أو فعل يفعله . ولكن الأمر الأشد إيلا ما حقا والذي لا ينبغي أن يسمح به على الإطلاق هو أن يمتد هذا التهريج إلى الدين الإسلامي واستخدامه بالباطل للتلاعب بعواطف المسلمين وتحريكهم لخدمة أهداف شريرة لشخص أقل ما يمكن أن يوصف به أنه منافق ومريض نفسى .

فنحن نعرف أن الرئيس العراقي هو في نفس الوقت رئيس الحزب الحاكم في البلاد . ونعرف أيضا أن هذا الحزب يقوم على مبادئ علمانية استشراقية لا تعترف بالأديان وضعها زعيمه النصراني ميشيل عفلق الذي صدرت تعليمات الحزب لأتباعه بوجوب الصلاة على روح زعيمهم الراحل ميشيل عفلق واستلهاهم هدايته من خلال صلاة تقول كلماتها :

« أيها الدليل الأمين .. يا من تضىء ظلمات الشك .. يا من هديتني إلى الصراط المستقيم .. » كل هذا لميشيل عفلق وهو في قبره ...

ونحن نعرف ، بل ويعرف العالم كله ، من خلال الكتب المنشورة باسمه أن الرئيس صدام حسين ، عبر في مئات المناسبات ومن خلال دعوته الحماسية لمبادئ الحزب الذي يترأسه عن بغضه الشديد واحتقاره للإسلام والمسلمين وكان يصف رجال الدين في بلده بالمتخلفين والرجعيين والذين يريدون أن ينتزعوا الحكم من بين يدي الحزب ليعودوا بالبلاد إلى عهود الجهل والظلام ، إلى أربعة عشر قرنا إلى الوراء .. إن نفس هذا الحاكم المنافق هو الذى يأتى اليوم ليتباكى على الإسلام والمسلمين ويعلن خوفه وهلعته على مقدساتهم التى سيدنسها تواجد القوات الأجنبية التى جاءت للمساعدة على مواجهة غدره وعدوانه وتهديده .. ولكن الله غالب على أمره وسوف ينصر

المؤمنين □



# المأساة فى صور



لم يسلم الطير على طول شواطئ الخليج من تلوث صدام .. لقد أجهش الأطفال بالبكاء  
عندما شاهدوا صورة الطائر «الوليد» في «شيخوخته» وهو يصارع الموت ..



في يوم العنبرية العالمي كان قد وضع حقبة المستقبل لنظم هذه الصورة هدية من إلى أطفال العالم





الأطفال من مختلف جنسيات العالم ، لم يسلموا من بطشه



ما ذنب هذا الطفل البريء الذي أضاف « صدام » اسمه إلى قائمة اليتامى ؟ !



بعض أدوات التعذيب التي كانت تستخدمها القوات العراقية ضد شعب الكويت



هكذا . . كان وضع الأخوة الكويتيين الذين كانوا يعيشون في العراق . . هائمون على وجوههم بعد الطرد من بيوتهم ، كمرحلة أولى من مراحل العذاب والتعذيب .



التدمير من أجل التدمير . . تدمير أى شيء فيه حركة أو حياة .



Oh, no, he's back again.

Let's pray  
that this  
time is the  
last time.

© 1999 OFFICE 2000







واحد من مئات آبار البترول التي فجرتها القوات العراقية ، حيث تنطلق السنة اللهب وأمواج الدخان الأسود  
الذي حول الكويت إلى ظلام دائم ، وامتد التلوث ليشمل العالم .



مبنى الخطوط الجوية الكويتية . . من بين أهداف تدمير القوات العراقية . .



صور الجرحى والقتلى والموتى . .  
أصبحت صورا عادية تقليدية في عالم  
« صدام » .. عالم التعطش إلى  
الدم .



في سكون وصمت القبور بالكويت . . تصرخ أرواح الضحايا ، حيث يقف هذا المواطن الكويتي ممسكا  
صور زملائه الذين قتلهم قوات « صدام » حرقا . . لقد أحرقوا أيضا أفراد أسرته وأقاربه أمام عينيه ثم  
تركوه حيا يعاني عذاب المأساة . .



إحدى الأمهات الكويتيات مع أطفالها على حدود  
بلادها بعد أن نجحت في الهروب من العراق .



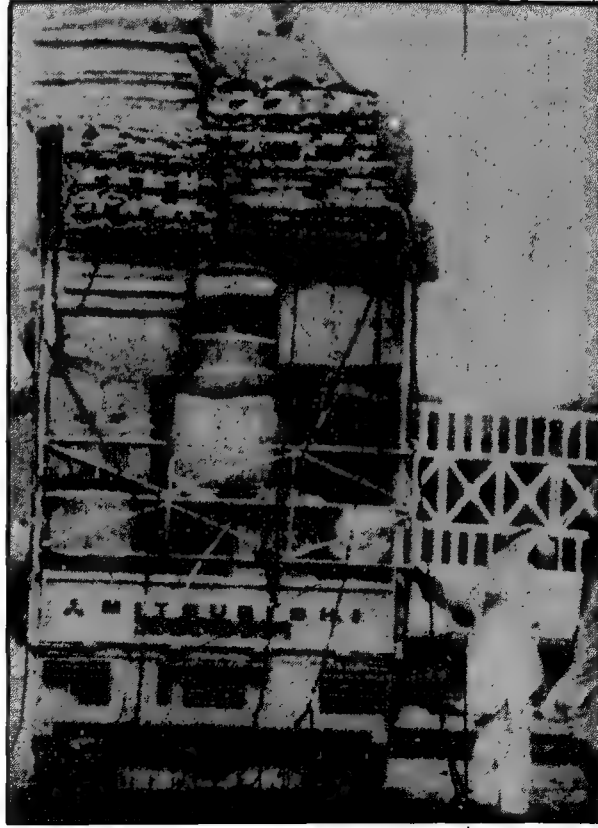
البلايين التي أنفقت في حرب الخليج ، كان من الممكن استخدامها في البناء والتعمير  
لو أن صدام كان قد استمع إلى صوت الضمير العالمي .





جنون المعظمة . ثمرته الخراب والدعار .

●● سعاداء الحظ ..  
الذين وجدوا سيارة سليمة  
للفرار بامتعتهم ..



●● وآخرون لم يجدوا وسيلة سوى السير آلاف الأميال... المهم ..  
أنهم نجوا بأرواحهم .



هكذا فعل « صدام » بأهله وشعبه . . لقد فلت منه الزمام وتحولت  
ضرباته العشوائية الى شعبه تأديبا له عندما أبدى مجرد تدمره .







سورة القصص

٩

ويفترون على الله الكذب



كما

كان متوقعا تماما ، كما هي عادة القيادات التي لا تتمتع بالشجاعة ولا تتصف بالشرف أو النبيل من أولئك الذين لا يتورعون عن ارتكاب أدنى الأعمال ما دامت تمكنهم من تحقيق أهدافهم أو ستر فشلهم . فعندما بدأت أبعاد صورة المأساة التي صنعها صدام حسين باجتياحه للكويت تتضح وتتجسد من خلالها أعماق الهاوية التي دفع بشعبه إليها غير عابىء بالثمن الفادح الذي يتعين على هذا الشعب المسكين أن يدفعه لمجرد تحقيق طموحات شخصية مجنونة لقائده الذي قامر بحاضره ومستقبله ، بل وربما أيضاً بتاريخه الذي تمرغ في التراب . فقد لجأ الرئيس العراقي إلى حيلته المفضلة التي يجيدها تماما وهي التضليل ، لكي يحصل على المساندة اللازمة لستر جريمته وتمكينه من الإفلات بالغنيمة أو ثمرتها الحرام التي أسماها « جائزته » ..

ولما كان المستهدف بعملية التضليل هذه هو الرأي العام العربي والاسلامى ، فقد كان طبيعيا أن يتخذ الطريق إليها مسارين متوازيين ، أولهما البعد العربي المتمثل فى دغدغة المشاعر الوطنية وقد تركز بصورة خاصة على القضية الفلسطينية . مدعيا بأنه قصيد باختطاف الكويت أن تكون

رهينة لاجبار المجتمع الدولي على البحث عن حل لهذه القضية ، إلى جانب الزعم مرة بأنه أراد أن يجعل من الكويت والعراق نواة للوحدة العربية ، ومرة أخرى بأنه يهدف إلى إعادة توزيع عوائد النفط والثروات العربية بصورة أكثر عدلا بين الأغنياء والفقراء !! ؟

أما المسار الثاني لعملية التضليل فكان البعد الإسلامي ، مدعيا من خلال فتوى أصدرها « فضيلته » شخصيا ، تقضى بعدم جواز استعانة المسلم بغير المسلم لحمايته من عدوان مسلم .. ، لأن وجود غير المسلم على أرض المسلم يعد إهانة لجميع المسلمين وتدنيسا لمقدساتهم .. ، خصوصا وأن هذه القوات لم تأت ( حسب رأى فضيلته ) لكى ترد عدوانا أو تدفع ظلما أو تنصر حقا ، وإنما جاءت لتنتقم من أحفاد صلاح الدين ولكى تعاقب المسلمين ( فى شخص العراق ) لجرأتهم على امتلاك أسباب القوة التى تهدد لإسرائيل .. ولم يكن الرئيس العراقى قد فاته بالطبع أن يمهّد لمثل هذه الفتوى بالإعلان والترويج على أوسع نطاق لما تم اكتشافه مؤخراً من ثبوت نسبه وانتماؤه للأصول الهاشمية الكريمة .

ويتمادى « فضيلة » الرئيس العراقى مستغرقاً فى تأملاته وإصدار الأحكام بشأنها قولا بأن هذه الحرب معركة بين الإيمان والكفر ، بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين التسلط والعدوان من ناحية وبين العدل والإنصاف من ناحية أخرى .. ثم يقول : ولقد أسميناها « أم المعارك » لأن الحق فيها واضح والباطل واضح ، وبما أننا مؤمنون بالله ، والله حق يجب الحق وينصره ، إذن فليس هناك معركة أكبر من معركة يقودها الله سبحانه وتعالى ( يقصد معركة العراق ) ضد جيش الكفر الذى يقوده الشيطان من جانب آخر .

ولست أدري إذا كنت بحاجة هنا إلى التصدى لمثل هذه الأكاذيب الصغيرة والتافهة أم أن الرد عليها ودحضها يعد من قبيل البديهيات التى لا تغيب عن فطنة كل ذى عقل أو ضمير . ومع ذلك فلا بأس من أن نتعرض لها أو لبعضها بصورة سريعة وموجزة حتى لا يتطرق إلى ذهن البعض ( سهواً أو عمداً ) بأننا تركناها عجزاً وليس ترفعاً . وذلك على النحو التالى :

١ - الرئيس العراقى كاذب تماماً فى كل ما قاله بشأن الوحدة . إذ أن

الوحدة لا تتم ولم نسمع بأنها تمت من قبل عن طريق القسر والغزو والاحتياح في ظلام الليالي . كما أن أحداً لم يفوض الرئيس العراقي لإتمام هذه الوحدة . وإذا كان هناك من فوضه فلماذا لم يبدأ بهم ولماذا لم يبدأوا هم بأنفسهم . ثم إن الرئيس العراقي لم يفسر لنا أسباب النهب والتخريب والإيغال في دم الأبرياء ما دام الهدف شريفاً وهو الوحدة بين الأشقاء . . . وأخيراً فكم كنا نتمنى أن نعرف منه أو من زمرة الباغية عن علاقة الوحدة بالاعتصاب ، وكيف يمكن أن يكون احتلال الكويت طريقاً لتحرير فلسطين مع العلم بأن الأردن هو الذى يمثل الطريق الأقرب والأنسب جغرافياً لتحرير فلسطين على حد زعمه ! أم ترى أن الكويت كانت الحليف القوى والعقبة الرئيسية في الطريق إلى إسرائيل . . .

٢ - انطلاقاً من أى قانون وضعى أو سماوى ، وبموجب أى حق دولى فوض الرئيس صدام حسين نفسه قيماً على ثروات العرب والمسلمين لكى يقرر إعادة توزيعها ، وما هى السوابق الدولية أو القانونية أو التاريخية لهذا المبدأ العجيب ، حتى فى عهد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ؟ . . أولم يكن الأولى بصدام حسين أن يوزع ثروة العراق بالعدل بينه وبين الشعب العراقي ؟ . فتحن لن نتحدث عن مساعداته للدول الإسلامية والصديقة ، لسبب بسيط وهو أن مثل هذه المساعدات غير موجودة على الإطلاق ، وهو قد تعود على الأخذ فقط ، أما عطاؤه فهو الموت . . أولم يكن الأولى به ، أن يعطى المصريين الذين ذهبوا لمساعدته أيام محنته أجورهم بدلاً من أن يأكلها سحتاً ويعيد الكثير منهم فى نعوش ؟ . .

٣ - ومتى كان العراق خطراً يهدد إسرائيل ، مع أن المعروف أنه لم يشتبك معها فى معركة واحدة من المعارك الأربع التى خاضها العرب ضد إسرائيل ، بل وأنه لم يحرك ساكناً أو يلقى عليها حجراً عندما دمرت له مفاعله النووى بغير مناسبة ودون أى استفزاز من جانبه . ثم ما الذى منع العراق من تحرير فلسطين بالذهاب إليها مباشرة وليس عن طريق الكويت أو الإمارات أو غيرها ما دام يمتلك كل هذا المخزون الهائل من السلاح الذى كشفت عنه حرب الخليج الحالية ؟ . .

٤ - يقول المستر دوجلاس هيرد وزير الخارجية البريطانى ، إن ادعاء الرئيس العراقي بأنه اجتاحت الكويت لمصلحة الفلسطينيين هو محض هراء

واضح ، إذ أن صدام حسين لم يأت حتى على ذكر الفلسطينيين إلا بعد عشرة أيام من اجتياحه للكويت ، ولم يكن هذا الادعاء إلا مجرد فكرة هزلية خطرت على باله فيما بعد ( وبعد أن سخر العالم من كل المبررات التافهة التي كان يقدم واحدا منها كل يوم ) .

٥ - لم يوضح لنا صدام حسين من أين جاء بالحكم القاتل بعدم جواز استعانة المسلم بغير المسلم إذا تعرض لعدوان أو ظلم من مسلم آخر . هل جاء به من التاريخ العربي أم من أحكام الشريعة الإسلامية ، أم تراه من ابتكاره وابتكار المنافقين المشايخين له ويلصق زوراً وبهتاناً بالعروبة أو بالإسلام ؟ ..

٦ - هل هناك صفاقة أكثر من أن يعتدى صدام حسين على دولة عربية مسلمة ، ثم يأتي ليضحك بكل تبجح على بقية المسلمين بالقول أن وجود قوات غير مسلمة على أرض بلد مسلم ( المملكة العربية السعودية ) يعد إهانة للمسلمين وتدنيسا لمقدساتهم ؟ ..

إن الفجيعة ليست في أن يقول صدام حسين هذا ، فهو رجل كما قلنا في بداية هذا الحديث يمكن أن يفعل أى شيء . ولكن الفجيعة هي أن يكون بيتنا من هم على قدر من الغفلة بحيث يصدقون هذا الخداع الرخيص والاستهانة بعقولهم ..

٧ - أرجو أن يسمح لى القارىء بأن أعود هنا مرة أخرى إلى حديث المستر/ هيرد حيث يقول ، « إن الضرر الأعظم الذى ألحقه صدام حسين من جراء ما فعله كان بالمسلمين بالذات . فهو يتظاهر بأنه قائد مسلم ، ولكنه فى الواقع مشغول عن موت أكبر عدد من المسلمين فى أى زمان ومكان ، وهو الرجل الذى شن هجوماً غادراً على مواطنيه الأكراد العزل بالغاز السام لإبادتهم بصورة وحشية لا يعرف التاريخ لها مثيلاً ، علاوة على ما فعله بالمسلمين فى إيران وفى الكويت . إن الحرب الدائرة الآن فى الخليج ليست حرباً ضد العالم العربى أو الإسلامى وإنما هى حرب لرد عدوان بلد مسلم ضد بلد مسلم آخر . والقوات الدولية المشتركة التى تقوم بهذه المهمة هناك بناء على طلب الدول المهددة والمعرضة للخطر وليس لديها أية طموحات سوى تلك المهمة التى أقرتها الدول العربية والأمم المتحدة » .

٨ - ويقول الرئيس الليبي معمر القذافي ( إن صدام حسين يريد أن يقحم العرب في حرب لا قبل لهم بها وكان يخطط لها منذ عشر سنوات ولم يأخذ رأيهم فيها . وهو قد بدد ثروات بلاده ومقدرات شعبه من أجل زعامة شخصية وليس كما يدعى من أجل فلسطين ) .

٩ - يقول العارفون بدخائل حزب البعث العراقي ( بزعامة صدام حسين ) ، إن من المبادئ الأساسية لهذا الحزب ، والتي يتفق فيها تماماً مع النظرية الشيوعية « أن الله خرافة ، والدين أفيون الشعوب » . . . وحتى لو كان هناك من ينكر وجود هذا المبدأ ضمن مبادئ حزب البعث العراقي بزعامة صدام حسين ، فلعله يصدق ما يقوله صدام حسين نفسه تعبيراً عن أفكاره وآرائه تجاه الدين ، من واقع ما جاء في كتاب منسوب إليه ومنشور باسمه ، حيث يقول الرئيس العراقي تحت عنوان « نظرة في الدين والتراث » . . ( ينبغي أن نقول منذ البداية إن حزب البعث العربي الاشتراكي العراقي هو حزب يضيف إلى جوهره القومي فكره العلماني مثلما هي دولة البعث في العراق ، في نظريتها التي تهتدى بها وفي ممارساتها كدولة قومية علمانية ) .

ثم يقول في مكان آخر ( فليؤمن كل مواطن بما يشاء من كتب السماء وليعتنق ما يشاء من مذاهب الأرض . فالكل أمام الدولة والثورة سواء ولا فضل لمواطن على آخر إلا بمدى تعلقه بوطنه وارتباطه بالثورة ) . .

وفي مكان ثالث من كتابه يقول الرئيس صدام حسين : ( لأن الاستسلام للدعوات الرجعية لبعض الأوساط الدينية « والمقصود هنا هو الاسلام بالذات » يستلزم أن تترك دورك القيادي للمجتمع ، وأن تتخلى عنه لتتنظم في صفوف حركة سلبية متخلفة تقتصر على التطلع إلى الماضي وتبدأ السلم من أوله ) . .

ثم يقول في مكان رابع ( ولن يجدي كثيراً التظاهر بتعقب الرجعية « وهو يعني هنا أيضاً الحركة الإسلامية » وتصور إمكانية احتوائها وإفراغها من سمومها عن طريق التداخل أو الالتحام المؤقت بالمحسوب « أي عن طريق الخداع » . ذلك لأن الرجعية الدينية وفق مثل هذه النظرية سوف تكون هي قائدة المسيرة لا أنت ، ولذلك فلن تكون أنت الذي سيقوم بتعبئة

الجماهير على هذا الطريق لتستطيع التحكم فى مساراته واتجاهاته اللاحقة لتكيفه وفق ما تريد ، وإنما هناك غيرك من أوساط الرجعية متخصصون فى هذه المسألة سيتولون هم الأمور على طريقتهم ) .

هذه هى آراء صدام حسين المسجلة فى الدين وأصحابه . . فهل هناك مستزيد من الأدلة على زيف ادعاءاته بالحرص على الإسلام وطهارة بلاد المسلمين . وخاصة إذا أضفنا إليها الدلائل العملية المتمثلة فى مطاردته الإجرامية لعلماء المسلمين فى بلاده وخارجها وقيامه بالتصفية الجسدية للعديد منهم أو تعريضهم للسجن والتنكيل والإهانة والتعذيب الشديد ؟ . . لا أملك إلا أن أقول حسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم دعونا نتساءل هنا بشىء من المصارحة عما قدمه العراق والدول المشايعة له للقضية الفلسطينية عبر تاريخها الطويل . فخلال الثلاثين سنة الماضية لم يقدم العراق أو الدول المشار إليها أى دعم حقيقى أو توضيحات ذات قيمة ، بينما قدمت كل من مصر وسوريا الدم الغالى لزهرة شبابها عبر أربعة حروب متتالية تسببت فى انهالكهما اقتصاديا إلى حد كبير . أما المملكة العربية السعودية فلا أظن أن هناك من يجهل دورها ودعمها وما قدمته لهذه القضية ، والذي لم يقتصر على المشاركة بالأرواح والدماء الزكية فى كل جولات الحروب المذكورة ، وإنما قدمت أيضاً المال بسخاء ولم تبخل بشىء انطلاقاً من أنها كانت وما زالت تعتبر هذه القضية هى قضيتها وقضية العرب الأولى ، ولذا فهى تناصرها مناصرة استراتيجية وليست مناصرة تكتيكية تترفع من خلالها عن المتاجرة بالقضية أو بشعاراتها كما يفعل الآخرون .

بل ودعونا نتساءل عما قدمته تلك الدول المشار إليها لشعوبها ذاتها ( وهذا أمر مهم جداً فى الواقع ) . فنحن لا نرى فيها إلا أوضاعاً اقتصادية متردية للغاية ومستوى معيشة منخفضاً ولا وجود فى بعضها لبنية أساسية أو مقومات اقتصاد وطنى منتج . وما دمنّا افترضنا المصارحة منذ البداية فدعونا نقول إن الأسباب الحقيقية للإخفاق فى إقامة هذه الأنظمة بناء سليماً لهاكلها الاقتصادية والاجتماعية لا يرجع إلى الفقر أو ضيق ذات اليد



أو انعدام وجود ثروات وطنية يمكن توظيفها واستغلالها . وإنما يرجع إلى سوء الإدارة وتفشى الفساد الذى تمخض عن نتيجتين هامتين : الأولى هى انعدام جدوى المساعدات الكثيرة التى تلقتها تلك الأنظمة فى إصلاح هياكلها . والثانية هى سهولة استغلالها وشراؤها بالمال من قبل أنظمة متآمرة ومعتادة على الرشوة مثل نظام صدام حسين □



سنة ١٠

١٠

العدوان والجهل الضائع



## الإعلام

واحد من أقدم الممارسات البشرية التي عرفها الانسان ، حيث ظهر مع بداية محاولاته الأولى لتلبية نداء الطبيعة وتحقيق رغبته الغريزية التي فطره الله عليها في العيش ضمن حياة الأسرة والجماعة . ولقد كانت أهداف الإعلام في البداية ، مثلما كانت أساليه ، بدائية وبسيطة . لكنها أخذت تنمو وتزداد تعقيدا مع مرور الزمن ، حتى لم يعد من السهل متابعتها وحصرها بدقة في أيامنا الحاضرة . وهذا هو ما سبق أن أشرت إليه مرارا في بعض أحاديثي .

ولأننا لسنا بصدد تناول الممارسة الإعلامية في حد ذاتها بالدراسة الأكاديمية المتخصصة التي تتعرض لتاريخ ظهورها على الأرض أو تتعقب مراحل تطورها بالتفصيل . فحسبنا أن نكتفي هنا بالقول بأن الإعلام أصبح ( ضمن عدد هائل من استخداماته الحديثة ) يشكل جزءا أساسيا في العمليات الحربية ، إما بمثابة الدعم المباشر والمؤثر للسلح أو حتى بديلا عنه في كثير من الأحيان .

ولقد شهد القرن العشرون الميلادى ، ظهور عدد غير محدد من وسائل الإعلام القوية والمتطورة . ولكن الملاحظ أن الاذاعة كانت وما زالت تحتل

مكان الصدارة في مجال الفاعلية والتأثير ، لما تنفرد به عن غيرها من مزايا لا تتمتع بها الوسائل الأخرى مثل : سرعة وشمولية الانتشار الذي يمكن أن يغطي كامل الكرة الأرضية في ثوان معدودة ، وأيضا لقلّة تعقيد المنشآت والتجهيزات اللازمة لتشغيلها ، ولرخص سعر أجهزة الاستقبال ( الراديو ) وإمكانية مخاطبة البشر في كل أنحاء العالم من خلالها بجميع لغاتهم وعلى مختلف مستوياتهم الثقافية .

ومن الإذاعات التي اكتسبت شهرة وانتشارا واسعا أيام الحرب العالمية الثانية : الإذاعة الألمانية والإذاعة الفرنسية ، وفي أيامنا هذه : إذاعة الـ ( بي . بي . سي ) البريطانية وإذاعة صوت أمريكا وإذاعة مونت كارلو .

ومع أن بعض هذه الإذاعات لم تكتسب شهرتها وانتشارها إلا من خلال المصادقية وعبر قوة إرسالها وتنوع مادتها وسعة إمكاناتها في الحصول على الأخبار من شتى أنحاء العالم واستخدامها للمراسلين والمحليلين الجيدين . إلخ . إلا أن هذا لا ينفي أن الظاهرة الملاصقة لهذه الشهرة وذلك الانتشار ، هي أن لبعضها وجهات نظر عقائدية لا تتورع عن حقنها في أذهان المستمعين من خلال برامجها وبطريقة غير مباشرة .

ومثلما حدث أيام احتدام الحرب العراقية الإيرانية عندما كانت إيران تسخر جل جهودها وإمكاناتها الإعلامية وأجهزتها الدعائية ، لشن حملات التشهير الظالمة ضد المملكة ، بسبب وقوفها إلى جانب العراق وتصميمها على الحيلولة دون تعرضه للهزيمة المنكرة . فقد أصبح العراق هو الذي يقوم بهذه المهمة ، وينفس المستوى من الشراسة ونفس القدر من السفالة والانحطاط .

فلقد فوجئ النظام العراقي ( على غير ما كان يتوقع أو يتصور ) ببقظة القيادة السعودية وسرعة تحركها عندما اتخذت القرار المناسب في الوقت المناسب لوقف عدوانه وإفشال مخططاته التآمرية التي أنفق بالتعاون مع شركائه وقتا طويلا في إعدادها والاستعداد لها ، بهدف السيطرة ، من خلال الهجوم الغادر والمباغت ، على مقدرات دول الخليج .

لذلك نلاحظ أن هذا النظام عندما استيقن من أن تدبيره خاب وارتبكت كل حساباته ، جن جنون قاداته فلم يجدوا أمامهم سوى اللجوء الى الحرب الإعلامية مستخدمين الإذاعات التي اشتروها بأموال ومساعدات دول

الخليج لستر عوراتهم من جهة ولمحاولة الإساءة إلى المملكة من جهة أخرى ،  
تارة تحت اسم (إذاعة مكة المكرمة ) وطورا باسم (إذاعة المدينة المنورة) ،  
وفي كل الحالات بالتشويش المستمر ليس فقط على إذاعة المملكة ، وإنما أيضا  
على كل إذاعات العالم الحر ، وخصوصا خلال فترات الأخبار ، وذلك  
للحيلولة دون وصول صوت الحقيقة إلى الشعب العراقي وحرمان هذا الشعب  
من معرفة المصير المظلم الذي تدفعه إليه قيادته برعونتها وجهلها وعنادها .  
مما جعله يعيش عزلة فكرية تامة سوف لن يستفيق منها إلا بعد أن تحل الكارثة  
ويختفى المجرمون من مسرح الجريمة .

وهنا يجدر بنا أن نستعرض مثلا بسيطا يوضح الفرق بين القيادة  
الشرعية المؤهلة التي تؤمن بربها وتثق بنفسها وتشعر بقدرتها على الأخذ بيد  
شعبها إلى ما يعود عليه بالنفع والخير ويفتح له آفاق المساهمة في صنع السلام  
وخدمة البشرية . وتلك التي تقفز إلى السلطة عن طريق الخداع والتضليل  
والاحتلال والتآمر ، ومن ثم يكون طبيعيا ألا تشعر بأى قدر من الاستقرار  
أو تطمئن إلى استمرار حكمها إلا من خلال البطش والمغامرة وفتح شهية  
الشعب للأطماع والطموحات غير المشروعة .

فبينما نلاحظ أن الرئيس العراقي قد بدد كل سنوات حكمه وثروات  
بلاده في حرب عبثية لا داعى لها ولا طائل من ورائها وضرب نطاقا من الحصار  
الفكرى والإرهابى على شعبه وعمل جاهدا وعن عمد وسابق تخطيط على عزله  
عن العالم الخارجى حتى أصبح هذا الشعب يعيش خارج نطاق الواقع العقلى  
والدولى لا يرى سوى صورة رئيسه ولا يسمع إلا صوته وصوت أبواقه الدعائية  
المضللة . . نجد أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وقد  
أنفق سنوات حكمه وهو يحقق لشعبه أعظم الإنجازات ويبدل قصارى جهده  
في سباق مع الزمن لاستكمال تنفيذ خطط التنمية الطموحة التى تبنتها المملكة  
من أكثر من عشرين عاما ، وفى مقدمتها التنمية البشرية التى أشرف عليها  
شخصيا منذ أن كان يتولى أول وزارة للمعارف فى المملكة . وذلك من خلال  
ترسيخ مبادئ الإيمان والتمسك بشريعة الله أولا ثم بالتوسع فى برامج التعليم  
والتدريب وتيسير كل السبل المؤدية إليهما مهما بلغت التكاليف ، انطلاقا من  
قناعته بأن الانسان السعودى هو محور التنمية وهدفها النهائى وأعلى عناصرها .  
ولقد كان من نتائج هذا المسعى ومردوداته الخيرة أن أصبح الشعب

السعودى وفى زمن قياسى على درجة من الوعى والنضج الفكرى مكنته من إدراك حجم وأبعاد الجريمة العراقية فور وقوعها ولم تضلله الدعايات والأكاذيب التى تنضح بها أبواق الدعاية العراقية وأساليب الإثارة والتحريض الفجة عبر إذاعاته المصطنعة التى لم تظفر بغير السخرية والاحتقار ولم يأبه طفل صغير ولو بكلمة واحدة مما تقوله منذ أن طالعنا صوتها المنكر والى أن يختفى قريبا بحول الله .

لقد كان لدى الشعب السعودى والحمد لله متسع من الوقت للتعرف على أساليب التضليل الإعلامى طوال حرب الخليج المعروفة بالحرب العراقية الإيرانية . بل ولقد عرف الشعب أيضا أو سمع أو قرأ عن إذاعات الرايخ وإعلام جوبلز الألمانى خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وبعض إذاعات المنطقة خلال حقبة الستينيات . وعرف الشعب السعودى كذلك كم من الأخطاء ألصقت بغير مرتكبها وكم من البطولات نسبت إلى من لا يستحقها ، وذلك بفضل الاستخدام السيئ وغير الأمين للإعلام . ثم عرف الشعب السعودى أخيرا أن السلاح الفعال لمواجهة مثل هذه الحروب الخبيثة هو أن تكون لديه القدرة على التمييز بين مصادر الحملات الإعلامية ، ومن ثم التعرف على دوافعها وأهدافها . . . وسوف يكون هذا كافيا تماما بحول الله □



بسم الله الرحمن الرحيم

١١

جزى الله  
الشهداء كل خير



### لاشك

أن العدوان العراقي الغادر على الكويت فى الساعات الأولى من صباح الخميس الثانى من أغسطس الماضى ١٩٩٠ ، وما تمخض عنه هذا العدوان من مضاعفات وتعقيدات كثيرة . قد كبد الأمة العربية خسائر فادحة لم يسبق أن تعرضت لها من قبل وأنزل بها من الأضرار المادية والمعنوية ما لم تشهده عبر تاريخها الطويل .

ولقد تجسدت الأضرار فى العديد من الصور وكان من بينها على سبيل المثال ، ذلك الاستنزاف الهائل للثروات والمدخرات العربية بصفة عامة والتقويض الشامل للبنية الأساسية فى كل من العراق والكويت بصفة خاصة ، والتى أنفق على إقامتها ما يصعب تعويضه أو تقدير قيمته من الوقت والجهد والمال . ناهيك عن تحول حاد فى منحنى التأيد والتعاطف الدولى تجاه القضية الفلسطينية لمصلحة إسرائيل بعد أن أضاع العالم العربى فى سبيلها ما لا يمكن حصره من التضحيات على مدى نصف قرن من الزمان .

وبالرغم من كثرة الافرازات السلبية والمأساوية لهذا العدوان ، إلا أن واحدة من أكثر النتائج سوءاً وأشدّها قسوة ومرارة ، هى تلك التى كشف عنها

من صور الطمع والجشع والحقد التى يحملها لنا بعض الأشقاء ممن كنا نحاول أن نبني معهم نهضتنا العربية ومستقبلنا المشترك .

ولقد فجعنا حقاً بما فضحته مواقف هؤلاء من نواياهم الشريرة التى حاولوا من خلالها وبأكثر الأساليب خسة ونذالة ، الدفاع المستميت عن الباغى الظالم الغادر وتجميل صورته أمام رأى العام العربى والإسلامى والعالمى ، لمساعدته على إتمام جريمته وتمكينه من الإفلات بشمرتها الحرام .. الأمر الذى أسقط ( ولومن وجهة نظرى الشخصية ) وبشكل مؤسف ومؤلم للنفس ، ورقة التوت التى كانت تستر ما يعرف بالتضامن العربى .

وربما كان هناك من يلومنا ، قولا بأننا شاركنا على الأقل فى صنع هذا الوهم ثم استمرأنا العيش فى أحلامه من خلال السكوت عن هؤلاء المزيفين المضللين وعدم فضحهم فى الوقت المناسب ... وقد يكون هذا صحيحا إلى حد كبير . حيث كنا بالفعل نعرف ، وعلى وجه التأكيد ، أن هناك من « الإخوة » من يستكثرون علينا ويستخسرون فينا نعمة الله ، سواء فى المال أو فى الاستقرار أو فيما وهبنا من قيادة حكيمة مخلصة وأمينة تتقى الله فى دينها وترعاه فى أبناء وطنها . بل كان هؤلاء وما زالوا يحسدوننا على خدمة الحرمين الشريفين التى شرفنا الله بها ، وكانوا يرون أنفسهم أحق منا وأولى بكل هذه النعم ، لأسباب يعلمونها هم وحدهم ودون غيرهم من البشر .

كذلك كنا نعرف أن هناك أنظمة « شقيقة » يشتعل حسداها ويتعاضد حقدوها علينا كلما ازدادنا لها عطاء وبالغنا فى رعايتها ... وقد يكون هذا منطقا معكوسا وأمرأ شديدا الصعوبة على فهم البعض منا . غير أنه ليس كذلك تماما عند أولئك العارفين بمبادئ علم النفس والملمين بنظرياته ، خاصة فى مجال عقدة الشعور بالنقص ومحفزات الإحساس بالدونية ..

ومع ذلك ، فقد كنا نزداد حلما كلما ازدادوا لنا كراهية وازداد تسامحا كلما ازدادوا حقدا ، على أمل أن يأتى اليوم الذى يدركون فيه أننا نقوم تجاههم بأكثر من الواجب وأنه إذا كان هناك عيب فإنه ليس فينا نحن وأن من صالحهم بقدر ما هو من صالحنا أن يكون جارهم فى خير ، لأنهم إن لم يستفيدوا منه فسيكفيهم شره ... كذلك كنا نأمل أن يكون صبرنا واحتمالنا لجحودهم ونكرانهم ثمنا قليلا وتضحية هيئة نقدمها عن طيب خاطر فى سبيل

جمع الكلمة والثام الشمل وتحقيق التضامن العربى بمعناه الحقيقى فى نهاية الأمر .

وإذا كان هذا هو الجانب المظلم لواحدة من الصور المأساوية التى كشف عنها العدوان العراقى فى مجال العلاقات العربية/العربية . فإن هناك لحسن الحظ جوانب أخرى مضيئة ومشرفة فى نفس الصورة ، منها على سبيل المثال عودة مصر إلى ممارسة دورها العربى والإسلامى الرائد والمؤثر فى ضبط الإيقاع السياسى فى المنطقة .

وإذا كنت قد ذكرت كلمة « عودة » فذلك راجع إلى أن الدور المصرى الفعال والمواقف المصرية الأخلاقية ، ليست جديدة تماماً ، كما أنها لم تنشأ من فراغ . فمن ناحية كونها ليست جديدة ، نلاحظ أن مصر كانت دائماً وعلى مدى التاريخ العربى الحديث فى مقدمة الصفوف كلما دعا الداعى للذود عن حياض الأوطان والدفاع عن المصالح القومية والقضايا العربية ، مثل معارك التحرير فى الجزائر وقضايا الاستقلال فى السودان وفى الأردن وغيرها وغيرها .

أما قضية فلسطين ، فقد كانت قضية مصر المحورية والتى ظلت تتحمل من أجلها من التضحيات الغالية منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا ، مروراً بأربع جولات من الحرب الشرسة ضد إسرائيل والقوى الدولية المساندة لها ، ما لم تتحمله بقية الدول العربية مجتمعة . الأمر الذى تسبب فى إنهاك اقتصادها بدرجة كبيرة وأثقل على شعبها الصابر الشجاع . بل ولقد زاد من معاناتها المقاطعة العربية التى استمرت نحو عشر سنوات ، وكأنها كانت تلقى جزاء سنامار .

وأذكر أننى قرأت يوماً منذ أكثر من عشرين عاماً ، وضمن متطلبات دراستى للماجستير فى « الحكومات المقارنة » بالولايات المتحدة ، كتاباً بعنوان ( مصر : البحث عن مجتمع سياسى ) ، لمؤلف يهودى معروف بصهيونيته يدعى/ ناداف سافران . وكان موضوع الكتاب يدور حول حقبتى ما قبل ثورة ١٩٥٢ وحكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، محاولاً من خلال دراسة موضوعية تقديم تحليل لتلك الفترة وتصنيفها تحت إحدى الفئات المعروفة فى عالم السياسة .

والأمر الذى لفت انتباهى فى ذلك الكتاب ودعانى للاستشهاد به اليوم فى هذا الحديث ، هو ما أشار إليه المؤلف من أن مصر كانت فى حقبة الثلاثينيات الميلادية تمثل مجتمعا سياسيا مزدهرا يموج بالحركة الوطنية النشطة ، ( سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعدلى يكن وغيرهم ) وأحزابا متعددة تتنافس بقوة من خلال حرية الرأى فى التعبير عن مبادئها وانتمائها الوطنى ومحاربة الاحتلال البريطانى .

وإذا كان المسار السياسى - كما يقول بعض المفكرين - هو الانعكاس الطبيعى للمسار الاقتصادى ، وكلاهما يتأثر إلى حد كبير بالمكونات الشخصية والاتجاهات الأيديولوجية للرئيس ( خاصة فى العالم الثالث ) ، فإن هذا ينطبق أكثر ما ينطبق على فترة حكم الرئيس عبد الناصر ويعطينا تفسيراً مقنعاً لعدم وضوح الخط السياسى لمصر خلال فترة حكمه ، وإلى حد ما خلال فترة حكم الرئيس السادات . حيث كان هذا الخط متأرجحا بين الديمقراطية والحكم الشمولى تبعا لتأرجح الخط الاقتصادى بين الرأسمالية والاشتراكية ، بل وبين الاشتراكية الدولية بنماذجها المعروفة وبين ما أطلق عليه الاشتراكية الوطنية النابعة من واقع المجتمع المصرى .

وهذا بالطبع ليس إلا مجرد عرض موضوعى للواقع من وجهة نظر شخصية بحتة ، بصرف النظر عن الظروف والملابسات التى أدت إليه وبصرف النظر أيضا عن خطأ أو صواب تلك التوجهات السياسية والاقتصادية . وهدفى من ذلك هو التركيز على معنيين محددين : الأول هو إثبات عمق التجربة السياسية المصرية التى كانت فى أوجها منذ أوائل القرن الميلادى الحالى الذى شارف على نهايته فى الوقت الذى لم تكن هناك أنظمة مماثلة فى المنطقة . أو على الأصح لم تكن العديد من الدول الحالية قد ظهرت إلى حيز الوجود ، أما المعنى الثانى فهو إبراز حجم الإنجاز الذى تحقّق فى عهد الرئيس الحالى حسنى مبارك .

وفيما يتعلق بهذا الجزء من الحديث ، فسوف أتركه لمن هم أحق منى بتسجيله وتاريخه ، وسيقتصر دورى على مجرد نقله فقط . حيث يقول الأستاذ صلاح منتصر الكاتب المصرى المعروف فى إحدى افتتاحياته بمجلة أكتوبر التى يرأس تحريرها ولا أذكر تاريخها الآن « كانت السمة الخاصة المميزة والمشاركة بين كل من عبد الناصر والسادات هى الطموح الشخصى

والسعى إلى تأكيد الزعامة ، انطلاقاً من الخبرة المحدودة التي اكتسبها كل منهما في مجال العمل الوطنى قبل الثورة . أما الرئيس حسنى مبارك فقد جاء إلى الحكم بغير ترتيب أو تخطيط مسبق من جانبه ، بل ولا حتى طموحات إلى الزعامة . لذا فقد انصب اهتمامه على العمل والإنجاز دون صخب ودون إغارة اهتمام للأعمال المثيرة والقرارات المفاجئة التي تحدث الفرقعات الإعلامية والصدمات الكهربائية التي تتأثر بها الجماهير .

وليس هذا بالطبع هو مقام المقارنة بين الرؤساء الثلاثة ولا هو مقام المفاضلة بينهم ، فلكل إنجازاته فى نطاق إمكاناته وظروفه وقت ممارسته لمهامه . غير أن إنجازات الرئيس مبارك كانت على درجة عالية من الأهمية وتمثل فى إعادة تشييد البنية الأساسية واستكمال البناء الديموقراطى وتحسين وسائل الإنتاج ، خاصة وأنه جاء إلى الحكم فى وقت كانت جميع مرافق البنية الأساسية بحاجة إلى التجديد الشامل وكان العديد من المصانع على وشك التوقف بسبب عدم متابعة عمليات الإحلال والتجديد ، كما كانت العلاقات المصرية العربية قد وصلت إلى مستوى متدن جداً وأصبحت فواتير الديون التي تمت فى العهد السابق مستحقة السداد فى الوقت الذى ارتفعت الأسعار بشكل حاد وتجاوزت زيادة السكان الحدود التي يحتملها اقتصاد البلاد .

ونخلص من هذا العرض السريع إلى ما بدأنا به ، من أن الموقف المبدئى الأخلاقى الشريف الذى اتخذته مصر من قضية العدوان العراقى على الكويت ، ليس جديداً ولا هو بغريب عليها ، بل هو الموقف الذى كنا نتوقعه منها تماماً . ليس فقط لثقتنا البتامة فى صدق أخوتها ونقاء سريرتها وعلو هممتها وأصالة شعبها ، وإنما أيضاً لأنه الموقف الذى ينسجم مع مكانتها العربية والدولية والإسلامية وتاريخها الحضارى ويتمشى مع ما عرف عن قيادتها من حكمة ونزاهة وبعد نظر .

الأمر الذى يؤكد ما سبق وأن أشرنا إليه مراراً من أن نعم الله الكبرى على شعب ما أن يهبه قيادة أمينة مخلصه وواعية ، تعمل لصالحه قبل أن تعمل لصالحها ، وتحرص على سلامته قبل أن تحرص على سلامتها ، وتدفعه إلى العمل الذى يجلب له الخير والرفاهية ويكسبه المحبة والاحترام بين الشعوب بدلاً من أن تقوده إلى الهلاك والدمار والعياذ بالله .





درجہ

۱۲

التضليل الاعلامى .. دستوراً



قد

لا أضيف جديداً هنا إذا تحدثت عن تنامي أهمية الإعلام الحديث وتأثير وسائل الاتصالات في حياتنا المعاصرة ، حيث يمثل المرء بالنسبة لمعظم هذه الوسائل مجرد وعاء تصب فيه كما هائلا من الأخبار والمعلومات المطلوب إدخالها في عقله وترسيخها في ذهنه ومن ثم قيادته وتوجيهه - بغير إرادته - لكي يدور في دائرة الأحداث على النحو المخطط له سلفا . وذلك عبر تيار متدفق من التحليلات والكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية التي تلاحقه في كل مكان بشكل مكثف وعلى مدار الساعة وبصورة تؤكد ما ذهب إليه البعض من أن الإعلام الحديث أصبح « يفكر لنا » ، بمعنى أنه لا يدع لنا مجالا نفكر لأنفسنا .

لذلك ، فأننى لا أعتزم أن أتعرض اليوم لهذا الجانب من جوانب الإعلام ، وإنما يقتصر اهتمامى على استعراض نماذج لبعض مدارس الحديثة وتحليل اتجاهاتها ومفاهيمها . راجيا أن يضع القارئ في اعتباره أن ما سوف أشير إليه هنا على اعتبار أنه من مدارس الإعلام المختلفة ، لا يعتمد في الواقع على الدراسات الأكاديمية والنظريات المتخصصة . بل على الاستقراء

التاريخى البسيط ومن خلال المتابعة المستمرة والخبرة العملية المكتسبة فى هذا المجال .

وبادىء ذى بدء . أود القول بأن الإعلام المعاصر مر خلال السنوات العشرين الأخيرة بمراحل متعددة . فنحن عندما نتابع الإعلام العراقى على سبيل المثال ، وأبواقه الدعائية وأصداءه فى عمان وفى صنعاء وغيرها من الدول ذات الأنظمة التى تحركها الأحقاد ويحكم سلوكها الطمع والجشع والعياذ بالله ، نجد أنه يتبع أساليب الكذب والخداع واغتيال الحقيقة عمداً كل يوم مئات المرات دون أدنى قدر من الخجل أو احترام الذات أو حتى احترام عقلية شعوبها وحققها فى معرفة الحقيقة . بل ونجد أن هذه الشعوب هى نفسها المستهدف الأول والأخير بكل هذا القدر من الزيف والتضليل .

أقول إن متابعة إعلام تلك الدول تظهر البون الشاسع بين الحقيقة والزيف فى ممارستها . فعلى سبيل المثال هنا ، ولمجرد الاستدلال فقط ، فقد لوحظ عند بدء العمليات العسكرية من خلال المرحلة الأولى ( الجوية ) من مهمة القوات المشتركة لتحرير الكويت ، أن الإعلام العراقى بدأ يثت تصريحات رسمية باسم بيانات عسكرية تقول إن القوات العراقية كانت تسقط كل يوم عشرات من طائرات القوات المشتركة وإلى أن وصلت بالعدد الإجمالى لهذه الطائرات التى تم إسقاطها بعد عدة أيام إلى بضعة مئات . ثم عندما بدأت الحقائق تتضح وتفضح زيف هذه الأكاذيب ، سارعت الأبواق العراقية إلى استبدال كلمة « أهداف جوية » بكلمة « طائرات » . وكان المستهدف بكل هذه المعلومات المضللة هو بالطبع الشعب العراقى نفسه ، لأن الآخرين يعرفون الحقيقة ويلاسونها . الأمر الذى يذكرنا بحقبة غير مستحبة من تاريخنا غير البعيد والتى يطلق عليها « مدرسة أحمد سعيد » . . .

وبأسلوب إنشائى طنان لا جوهر له ولا جسد ، كما سبق وأن أشرت فى إحدى مقالاتى ، يتبع الإعلام الدعائى العراقى أسلوب الإعلام الألمانى قبل نحو نصف قرن من الزمان أو ما يعرف بـ « مدرسة جوبلز » . وقد استعان الإعلام العراقى فى هذا الصدد بالخبرة الألمانية الشرقية ، كما استعان بها أيضا فى مجال التصنيع العسكرى وخاصة فيما يتعلق بالأسلحة الكيميائية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل ، وأيضا فى مجال التجسس والتدريب على أعمال الإرهاب .

ويمكن القول بأن الإعلام العراقي يعتبر في حد ذاته مدرسة هزيلة وممسوخة تقع في نقطة ما بين « مدرسة جوبلز » و « مدرسة أحمد سعيد » . ولنا هنا وقفة لا بد وأن نشير من خلالها إلى أن « المدرسة الإعلامية المصرية الحديثة » في عهد فخامة الرئيس حسنى مبارك ، تعد من وجهة نظرى وفى تقديرى الخاص ، من أفضل مدارس الإعلام وتوجهاته فى العالمين العربى والإسلامى . .

وأعود فأقول ، إن التضليل كمبدأ أو كوسيلة ، هو جزء لا يتجزأ من الاستراتيجية الإعلامية للعراق . وهو كما أسلفت يقوم على بث الأخبار والتحليلات المضللة . وكما سبق القول أيضا ، فإن عملية التضليل ولو أنها طريقة بدائية وغير فعالة على المدى البعيد ، بل وقد تكون ذات تأثير عكسى فيما يتعلق بمصدقية الوسيلة الإعلامية ذاتها . إلا أنها للأسف تستطيع تحقيق نتائج سلبية وقوية مثل تأجيح مشاعر الرأى العام والتأثير على المواقف ، خصوصا فى الدول التى لدى شعوبها « قابلية مسبقة » ( SUSCEPTIBILITY ) ، أى استعداد لتقبل مثل هذه المعلومات الكاذبة .

ولو حاولنا أن نتناول هنا أسلوب التضليل الإعلامى العراقى منذ بدء احتلاله للكويت ( وهذا موضوع يستحق فى تقديرى أن تتم معالجته من خلال رسالة علمية جامعية ) ، فسنلاحظ أنه قام على الدعائم التالية :

١ - الكويت جزء لا يتجزأ من العراق .

٢ - العراق أقوى من أى تحالف حيث أنه يحارب على أرضه ومن مواقع دفاعية محصنة ومنيعه .

٣ - العراق باحتلاله للكويت انما يسترجع حقه التاريخى ، وهو الطريق الأقصر لتحرير فلسطين ؟ .

٤ - الادعاء بأن إسرائيل تساعد القوات الحليفة فى الخليج .

٥ - « أم الكباثر » القول بأن حاكم العراق صاحب رسالة إسلامية وأن صدام حسين الذى أضيف إلى ألقابه وأسمائه التسعة والتسعين ، اسم « المجاهد » تحركه نزعات ودوافع إسلامية بحتة .

٦ - الادعاء بأن بعض قوات التحالف المشتركة موجودة فى مكة المكرمة والمدينة

المنورة ، لكى يلهب مشاعر الدهماء فى الدول التى تؤيده كسبا للمواقف السياسية ..

٧ - الادعاء بأن القوات العراقية تحقق مكاسب عسكرية هامة كعملية الخفجى والى أثبتت مرة أخرى أن صدام حسين لا يولى حياة الإنسان أى قيمة أو اعتبار خصوصا إذا كان هذا الإنسان عراقيا . . وكذلك ادعاء أبواقه منذ بدء العمليات البرية بأن قواته تحقق انتصارات ساحقة على الرغم من أن جنوده يستسلمون بالآلاف ، بل يُقبَلون من يستسلمون لهم ، وهى ظاهرة ربما كانت الأولى فى تاريخ الحروب . .

٨ - انطلاقا من هذه القاعدة وقياسا على هذه الممارسات ، فسوف يدعى صدام حسين بعد انتهاء عملية تحرير الكويت ( اذا بقى فى الحكم ) بأنه انتصر لأنه تحدى أقوى دول العالم .

كانت هذه مجرد عينات ونماذج من مسلسل التضليل الإعلامى لصدام حسين ، والذى يستهدف به الشعب العراقى بالدرجة الأولى ثم بعض الشعوب العربية المفتري عليها والى لعلها بدأت تستفيق الآن من غفلتها ، وأول تلك الشعوب هو الشعب الفلسطينى .

كذلك فلا بد من الإشارة هنا أيضا إلى أن أسلوب التضليل الإعلامى يعتبر جزءا من التكوين النفسى والأخلاقى للرئيس صدام حسين وواحدا من أهم الركائز فى الاستراتيجية الحزبية الخاصة به والى وصل عن طريقها إلى حكم البلاد .

ولن أقول إن هذا الأسلوب وكل ما ينتج عنه أو يترتب عليه من آثار ، ليس إلا فقاعات هوائية فارغة لا تختلف كثيرا عن فقاعات الصابون التى سرعان ما تنفجر وتتلأشى بمجرد احتكاكها بالحقيقة ، والتاريخ نفسه شاهد عدل على ما كان يثته إعلام مدرسة « جو بلز » والى كانت من الناحية التكتيكية أبرع كثيرا من مدرسة الدعاية العراقية . ولكن لندع الشعوب العربية والإسلامية نفسها ، والزمن أيضا ، يصدرون حكمهم على مثل هذه المدارس والاتجاهات التى تتخذ من الكذب والزيف والتضليل أساسا لبنائها الهش . أما نحن فقد علمنا ديننا الحنيف أن « ما ينفع الناس يبقى فى الأرض ، أما الزبد فيذهب جفاء » □

درمختار

۱۳

ومن الاعلام ماقتل





بعد

أن انقشع غبار الزلزال ، وبدأت بوادر انحسار الخطر الناجم عن العدوان العراقي على الكويت . تعالوا بنا نلقى نظرة على مسرح الأحداث ، لعلنا نعثر بين ركامه على الأسباب التي أدت إلى وقوع هذا الحادث المفجع . أو تلك التي يمكن أن تجعل إنسانا ينقلب في لحظات إلى وحش ضار لا قلب له ولا عقل ولا ضمير . أعماه الحقد وتسلمت عليه نزعات الخيانة والغدر فلم يعد يرى له من هدف سوى الانتقام وإحداث أكبر قدر من الخراب والتدمير .

وفي تقديرى الشخصى ، فإن أهم أسباب هذه المأساة المؤلمة ، إن لم يكن سببها الوحيد ، هو ما سبق وأن ذكرت من قبل ، شخصية الرئيس العراقي نفسه . ذلك الرجل الذى ثبت بالدليل الذى لا يقبل الشك أن رغبة مجنونة تسيطر عليه بأن يصبح زعيما عالميا ، أو على الأقل إقليميا ، يدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، فإذا لم يستطع فمن أى باب وبأية وسيلة ، مهما كان الثمن فادحا أو كان الطريق محفوقا بالمخاطر .

وُرجع المختصون هذا الشكل المرضى من أشكال الطموح الذى يفتقد صدام حسين كل المؤهلات الموضوعية اللازمة لتحقيقه ، إلى تكوينه

النفسي المشوه الذي يُعزى بدوره إلى ما يعانيه الرجل منذ طفولته ومراحل صباه المبكر من ظروف نشأة وتربية قاسية تركت في نفسه آثاراً عميقة من مشاعر الحسد الممزوج بالحققد تجاه المجتمع ، والتي انعكست في صورة رغبة طاغية في تسيد هذا المجتمع وإخضاعه لإرادته مع الإحساس بلذة غامرة في ممارسة القهر والتعذيب والقتل والدمار . . ولتحقيق هذه الرغبات المرضية ، يتبع صدام حسين إلى جانب التآمر والخديعة والغدر ، أساليب أخرى عديدة أهمها « الرشوة » و « الابتزاز » و « الإعلام » . .

فالمتابع لسلوكيات صدام حسين - الخاصة منها والعامة - يلاحظ أنه يميل دائماً إلى استخدام الرشوة في كل تعاملاته مع الآخرين ، وهو يوظفها على نطاق واسع لكسب التأييد وشراء الولاء من أصحاب الذمم المرننة والحصول على ما يريد ، بصرف النظر عما يسببه ذلك من إضرار بمصالح الغير ، بل وحتى بمصالح المرشحين أنفسهم إذ أن الخدمات التي يكلفهم بها هي غالباً غير مشروعة ، ومن ثم يفقدون في مقابلها مصداقيتهم ( كما حدث مع الذين أيدوه ظلماً في عدوانه على الكويت ) .

وحتى نتعرف على بعض صور استخدام الرشوة على النطاق المحلي العراقي ، يمكن أن نستعرض هنا نموذجين اثنين على سبيل المثال ، هما الحزب والحرس الجمهوري . فبالنسبة للعمل الحزبي في العراق ، لعل كل شخص عراقي ، بل وأيضاً كل من قام بزيارة للعراق وتعرف خلالها على أحواله من الداخل ، لابد قد عرف ولمس أن أعضاء الحزب الحاكم يتمتعون دون غيرهم بمزايا مادية ومعنوية هائلة لا يحلم بالحصول على مثلها المواطن العراقي العادي . . لذلك فقد أصبح الانضمام إلى عضوية الحزب هو السبيل الوحيد لضمان الأمن الشخصي والاجتماعي والحياة الكريمة للمواطن العراقي . خاصة وأن جميع أعضاء الحزب يتسيدون بقية أفراد الشعب بتشجيع وتحريض من السلطة ، كما يعملون بالتجسس عليهم وتقديم التقارير الكيدية . . ضمة والانتقامية في معظم الأحيان .

أما فيما يتعلق بالحرس الجمهوري ، والذي يزيد تعداده على المائة والخمسين ألف رجل ، فله مهمة رئيسية وحيدة هي السهر على حراسة صدام حسين شخصياً وحماية نظامه الفاشي البغيض . ليس فقط من خطر قد يأتيه من الخارج ، وإنما أيضاً ، والأكثر احتمالاً ، من خطر يأتيه من

الداخل ، وعلى وجه التحديد من بقية تشكيلات الجيش العراقي الأخرى .

لذلك نجد أن صدام حسين ينفق على هذا الجيش الجمهورى ببذخ شديد ويزوده بأحدث الأسلحة وأغلاها ويغدق على أفرادهِ ( على سبيل الرشوة ) لكى يستमितوا فى حمايته وليكون دفاعهم عنه هو فى واقع الأمر دفاعا عن مصالحهم الشخصية وذودا عن حياة الرفاهية والرغد التى ينعمون بها من دون بقية أفراد الشعب ، بل ومن دون بقية أفراد الجيش ، والمرتبطة ارتباطا عضويا بوجود صدام حسين نفسه وبسلامته .

وبالنسبة للمجال الخارجى ، فقد أصبحت فضائح الرشوة التى قيل إن صدام حسين يقدمها إلى بعض الزعامات والقيادات المصطنعة فى المنطقة وأيضا لضعاف النفوس ممن يُحسبون على أهل الفكر والثقافة وأولئك الذين يملكون وسائل التأثير على الرأى العام . لقد أصبحت هذه الفضائح معروفة ومشهورة وموثقة ، ولم تعد تدور حول الوعود الوردية باقتسام الغنائم وما شابه ذلك ، بل أخذت شكلها العملى ممثلا فى القناطير المقنطرة من الذهب الحرام المسروق من الكويت .

كما أصبحت معروفة أيضا قصص تلك الهدايا الغريبة والمريبة التى كانت تقدم لكبار المسئولين والمفكرين ورجال الثقافة والاعلام فى الوطن العربى الذين يُدعون لزيارة العراق تحت شتى المسميات وتُفتعل لها المناسبات افتعالا ، والتى كانت تشمل أشياء ثمينة جدا مثل الفيلات والسيارات الفاخرة ، فى الوقت الذى كان العراق يمر بضائقة وأوقات صعبة وظروف مالية واقتصادية بالغة السوء بعد خروجه منهكا من حرب الثمانى سنوات التى ضاعت خلالها كل أرصدته وأصبحت ديونه تطاول الجبال .

أما أولئك الذين يتعذر إخضاعهم بالرشوة ، ويرفعون عن التعامل بمثل هذا الأسلوب الوقح غير الأخلاقى . فلهم عند صدام حسين سلاح آخر يناسبهم ويتلاءم مع حالتهم . ألا وهو سلاح الابتزاز ، والذى يعتبر الاغتيال واحتجاز الرهائن البريثة من النساء والأطفال والمدنيين العزل ، بعض أشكاله الأكثر شيوعا والأكثر استخداما فى مدرسة صدام حسين الإرهابية المشتركة .

وأخيرا هناك سلاح صدام حسين المفضل ، وهو سلاح « جوبلز » أو « الإعلام الأسود » الذى يقوم أساساً على النظرية الميكافيلية . ولقد سبق

أن تطرقت فى حديثى الأخير بعنوان « التضييل الاعلامى . . دستوراً » إلى نفس هذا الموضوع كمثال للممارسات الإعلامية العراقية خلال فترة احتلال الكويت . واليوم يمكن أن نضيف إلى ما ذكرناه فى الحديث السابق المشار إليه ، بعض النماذج الأخرى لهذه الممارسات ولنفس الفترة التى تنقسم إلى ثلاث مراحل على النحو التالى :

فبعد أن قدم صدام حسين عدوانه للعالم - عبر وسائله الإعلامية - على أنه عمل من أعمال الشهامة والمروءة والنخوة ، أخذت أبواقه والأبواق العميلة المساندة له تواطؤاً وتآمراً ، والتى أثمرت فى أرضها الرشوة ، تطلق طوفانا من الأكاذيب التى كانت تدعى أنها قرارات وتسميها بيانات رسمية صادرة عن « حكومة الكويت المؤقتة » ، والتى انكشف أمرها فيما بعد وثبت للعالم أنه لم يكن لهذه الحكومة المؤقتة وجود إلا فى استديوهات الإذاعة العراقية ، وأنه ( أى العالم ) تعرض لعملية تضليل منظمة ومخططة بإحكام بهدف التعتيم على أبشع جريمة نصب واحتيال عرفها التاريخ الحديث والمعاصر .

كذلك كانت تصرفات القيادة العراقية خالية من الذوق واللياقة ، بعيدة عن الأصول الدبلوماسية والأعراف الدولية المرعية . لأن هذه القيادة كانت منصرفة تماماً وبكليتها إلى متابعة مخططاتها التآمرية وتركز فقط على الأهداف الدعائية ، انطلاقاً من قناعتها ، أو تصورها ، بأن هذا الأسلوب الإعلامى الدعائى التضليلى يمكن أن يكون بديلاً مناسباً عن خضوعها للشرعية الدولية . وقد رأينا صدام حسين وهو يحاول الظهور بمظهر القوى ، لإعطاء الانطباع بأنه واثق من قدرته على تحدى القوى العظمى ، بل وإنزال الهزيمة بقوات التحالف ، ولا يهمه ما كان يجرى على قدم وساق من حشود فى ذلك الوقت .

وفى إطار مساعيه الفاشلة أيضاً لرفع معنويات جنوده المنهارة ، وبث روح اليأس والإحباط لدى القوات المتحالفة وشعوبها . رأينا صدام حسين ينظم رحلة سرية يزور خلالها الكويت مصطحباً كاميرات التلفزيون لتصويره وهو واقف بين جنوده يطل على ساحل الخليج مقلداً موشى دايان عندما فعل شيئاً مماثلاً على ضفاف قناة السويس فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .

ومرة أخرى ، وفى نفس الاطار ، رأينا صدام حسين ينظم استقبالا

دعائيا آخر يلتقى خلاله مع عدد من رهائه الدبلوماسيين . ثم يتظرف بمداعبة طفل بريطاني صغير ( من بين الرهائن ) وهو يربت على رأسه ، وبنفس الأسلوب الذى فعله هتلر مع البولنديين منذ أكثر من خمسين عاماً . . . ولعل هذا المعنى بالذات يكون قد ذكر بعض القراء بما سبق أن ذكرته فى أكثر من حديث من قبل حول هوية الأيدى التى تخطط لممارسات صدام حسين الإرهابية وتوجه أبواقه الكاذبة وإعلامه المضلل .

وفى المرحلة التالية ، المواكبة لبدء عمليات (عاصفة الصحراء) ، استمرت محاولات الخداع الإعلامى العراقى ، لتصنع ستاراً كثيفاً من الأكاذيب ، لعله يحجب الفشل الذى منيت به القيادة العراقية فى مواجهة الغارات الجوية التى كانت تقوم بها القوات المتحالفة ، أو تقليل الخسائر الفادحة التى كانت تنزل بالقوات العراقية والقدرات العسكرية العراقية والبنية الأساسية فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار وعلى مدى أربعين يوماً متتالية .

ومن أمثلة هذه المحاولات الفجة والساذجة ، ذلك الشريط التلفزيونى الذى يصور صدام حسين وهو يتجول فى شوارع بغداد محاطاً بعدد من حراسه والجماهير تتسابق على تحيته وتقبيل يده وهو يبتسم فى زهو وخيلاء . . ثم الشريط الآخر الذى يصور اجتماعاً لمجلس قيادة الثورة العراقية وصدام حسين يتبادل معهم النكات وعلامات السرور والمرح بادية على وجوههم . وكأن كل ما كنا نسمعه من أخبار الدمار الذى حل بالعراق غير صحيح ولا أساس له على الإطلاق ، لأنه ليس معقولاً أن تكون هذه الأخبار صحيحة بينما المسئولون عن سلامة ومصالح هذا الشعب يتبادلون الملح الظرفية على هذا النحو المفجع . اللهم إلا إذا كان بيننا من يظن أنهم جماعة من السفهاء والمجانين .

ولعل أسخف نكتة سمعها العالم فى ذلك الوقت العصيب ، تلك التى أطلقها صدام حسين بنفسه ، وكان ذلك عندما التقاه مندوب محطة التلفزيون الأمريكية وسأله عن مدى إمكانية انتصار الحلفاء واحتمالات هزيمة العراق ، حيث أجاب صدام حسين فى ثقة مصطنعة وأسلوب تمثيلى يحسده عليه الكثير من الفنانين ، بأنه لا يشك فى الانتصار ( أى انتصاره هو ) ولا بنسبة واحد فى المليون . .

أما فى المرحلة الثالثة والأخيرة ، وهى المرحلة التالية لهزيمة صدام حسين وتسليمه بكل مطالب التحالف وعلى رأسها الانسحاب الفورى غير المشروط وإلغاء قرار ضم الكويت والالتزام بتنفيذ كافة القرارات الصادرة من مجلس الأمن بشأن احتلال الكويت . فنلاحظ أن لهجة الصلف والعنجهية انتهت ، كما اختفت أشرطة التليفزيون وحلت محلها التسجيلات الإذاعية فقط . ولكن مع استمرار طابع الكذب والتمسك بأسلوب التضليل والخداع للشعب العراقى بالادعاء أنه انتصر على قوات التحالف الدولى وأن جنوده النشامى حققوا كل أهدافهم !! .

وأخيراً ، ترى ما هى المحصلة النهائية للنتائج التى حققها صدام حسين من وراء إعلامه الكاذب المضلل ، وما هى العبرة التى يمكن استخلاصها من هذه التجربة المريرة ؟ . . وقد لا أجدنى هنا بحاجة إلى الإجابة عن التساؤل الأول ، نظراً لأن القارئ يرى بنفسه أن صدام حسين لم يخدع بذلك إلا نفسه ، وأن كل جهوده وأمواله التى أنفقها فى هذا الصدد ذهبت سدى لأن العالم كله يعرف الحقيقة ويعرف أن صدام حسين منى بهزيمة منكرة وتجرع كأس الذل والعار وأثبت أنه لم يكن زعيماً ولا قائداً وإنما كان نصاباً ومحتالاً خائباً أهدر من أرواح شعبه ، ظلماً وعدواناً وبغياً ، عشرات آلاف الضحايا ، كما ألحق بالكويت وبلادها نفسها من الخراب والدمار ما يصعب إصلاحه وما لن ينساه التاريخ ، علاوة على ما ألحقه بالعلاقات العربية والتضامن العربى من الضرر الذى قد يتعذر معالجته وإصلاحه قبل مضى عشرات السنين .

أما إذا أردنا استخلاص العبرة ، فأظنها أيضاً واضحة على ما يبدو لى ، وهى أن زمن الخداع والتضليل والأساليب الإعلامية الفجة والملتوية التى تعتمد على نظريات جوبلز التى مضى عليها أكثر من نصف قرن من الزمان ، قد ولى وانتهى حيث أصبحت هناك وسائل تقنية حديثة تستطيع حمل الحقيقة إلى ما وراء الأبواب المغلقة واختراق أعتى الحواجز والتحصينات . بل وتستطيع هذه الوسائل استغلال الإعلام المتخلف لتستخدمه ضد صاحبه نفسه .

ولقد رأينا كيف أن وسائل الإعلام الغربية تلقفت أكاذيب صدام حسين وتهديداته الجوفاء وادعاءاته بأنه يملك رابع قوة مسلحة فى العالم وأن جيشه

النظامى مكون من مليون جندى ويستطيع تجنيد خمسة ملايين آخرين ، وأنه قادر على تحدى القوى العظمى ومستعد لاستخدام أسلحة الدمار الشامل إذا حاول أحد إجباره على الانسحاب من الكويت . فقد أخذت هذه الوسائل الغربية تردد هي الأخرى نفس الادعاءات وتروجها حتى صدقها صدام حسين نفسه ( ووحده ) ، ثم استخدمت هذا الانطباع فى إقناع دول العالم والرأى العام العالمى بضرورة ، أو على الأقل قبول ، التخلص من هذه القوة الخطرة على السلام العالمى والتي لا تلتزم بالشرعية . كما شحذت بتلك الأكاذيب همة مقاتلى التحالف الذين أفهموا أنهم يواجهون قوات بالغة القوة والشراسة . . ومن ثم كانت الهزيمة سريعة وساحقة . . وعلى نفسها جنت براقش □





درآمد

۱۴

حتی لائینی قلاعا من و مال



في

الأسابيع الماضية ، كثر الحديث وتعددت الاجتهادات وبُذلت المحاولات لبلورة التصور الأمثل لما يجب أن يكون عليه مستقبل العلاقات العربية العربية في ظل النظام الأمني الجديد لدول المنطقة فيما بعد مرحلة العدوان العراقي على الكويت وكتيجة مباشرة هذا العدوان الذي قلب كل الموازين وتمخض عن عدد من الآثار والنتائج التي أقل ما يمكن أن توصف به هو أنها مأساوية ومفجعة .

وليس من شك في أن مثل هذه الاجتهادات أو التصورات ، بكل ما تشتمل عليه من تنوع في الآراء واختلاف في وجهات النظر وتعدد في زوايا المعالجة الفكرية ، هي في واقع الأمر ظاهرة صحية لا غبار عليها ، من حيث كونها رد فعل طبيعي متوقع ، نابع من الإحساس الواعي والحس السليم لدى الكثير من المفكرين والسياسيين والمسؤولين وغيرهم من المهتمين بشئون السياسة والمتابعين لحركة الأحداث العالمية والمحلية ، بحجم الكارثة وما خلفته من دمار مادي واسع النطاق وآثار نفسية كان لها وقع الصاعقة على شعوب العالم وانعكست في شكل ذهول تام وقلق بالغ على أمن واستقرار هذه المنطقة .

فلقد أظهر العدوان العراقي على الكويت ، بوضوح لا يحتمل اللبس  
ويقين لا يقبل الجدل ، أن دول المنطقة ، وخاصة النفطية منها ، ليست  
مستهدفة في أمنها واستقرارها أو مهددة في استقلالها وثرواتها وسلامة شعوبها  
من قبل بعض القوى التوسعية الاستيطانية ( المعروفة ) فقط . بل وأنها قد  
تكون مستهدفة لأفدح من هذه الأخطار وأعظم من هذه الأطماع من داخل  
الأسرة العربية والإسلامية نفسها .

وكان طبيعيا أن يؤدي الكشف عن هذه الحقائق التي لم تخطر على بال  
إنسان من قبل ، إلى عملية خلط لجميع الأوراق وإعادة ترتيب للأولويات ،  
سواء بالنسبة للأمن الفردى والجماعى لدول المنطقة ، أو فيما يتعلق بتحديد  
مصادر الخطر تحديدا دقيقا وموضوعيا يقوم على أساس ما أسفرت عنه التجربة  
العملية والخبرة المكتسبة ، وليس على أساس المظاهر الخادعة والشعارات  
البراقية التي ظللنا نردها ( ربما عن سذاجة وربما عن حسن نية ) لسنوات  
طويلة حتى ألفناها وأصبحنا لا نلتفت إلى أنها بعيدة عن الواقع .

وهنا يتضح أن الحاجة أضحت ماسة والضرورة ملحة للإسراع بعمل  
جاد لمعالجة آثار هذا الحادث المؤسف الذى لم يعرف التاريخ القديم والمعاصر  
له مثيلا ، والتعامل مع ما تكشف عنه من معطيات جديدة على أسس  
موضوعية سليمة . بشرط أن ينطلق عملنا هذه المرة من الاقتناع التام بفداحة  
الكارثة التي حلت بنا والعزم الصادق والأکید على وضع كل الترتيبات  
والضمانات الكفيلة بالحيلولة دون تكرارها مرة أخرى بأى صورة وتحت أى  
ظرف من الظروف .

وإذا كان الفحص الدقيق والتشخيص السليم يشكّلان ( كما تقول  
النظرية الطبية المعروفة ) الخطوة الأولى والأساسية لنجاح علاج أى علة من  
العلل البدنية والنفسية ونقطة نفع على منتصف الطريق المؤدى إلى هذا  
العلاج . فجدیر بنا أن نستفيد هنا بالنهج المنطقى لهذه النظرية الرائعة فى  
محاولتنا البحث عن حل جذرى أو علاج ناجع للمشكلة التى أرقتنا لشهور  
طويلة وهزت استقرار المنطقة من الأعماق وألحقت بدولها وشعوبها ما يصعب  
تصوره من الأضرار .

ومن هذا المنطلق ، فإن الحكمة تقتضينا ألا نجعل الحماس يدفعنا إلى  
التسرع فى البحث عن الدواء قبل أن نكون قد تعرفنا على الداء ودرسنا أسبابه

دراسة وافية مستفيضة استوعبنا من خلالها كافة الظروف والملابسات التي أدت لوقوعه وهيأت لتمكينه وانتشاره . وعندئذ سوف نجد أن العثور على الدواء يمكن أن يكون سهلا والعلاج ميسورا ولا يحتاج منا إلى كثير عناء .

كما ينبغي أن ننتبه هنا أيضا إلى أنه سيكون من المستحيل علينا تحقيق أى تقدم أو الحصول على نتائج إيجابية في هذا الصدد ما لم يكن لدينا من الشجاعة ما يكفي لممارسة النقد الذاق الحقيقي في إطار من المصارحة وتسمية الأشياء بمسمياتها . وذلك حتى لا نحرث في البحر ( على حد قول الكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ خالد محمد خالد ) ولكيلا نبني قلعا من الرمال . وكفانا ما أضعنا من جهد وما أهدرنا من وقت في مباريات كلامية لا طائل من ورائها ومبارزات لفظية فارغة المضمون لم نجن من ورائها إلا ما وصلنا إليه الآن .

وفي تقديرى ، فإن هناك عددا من الأمثلة التى يمكن أن توضع مع غيرها تحت أنظار المعنيين بدراسة وتحليل المشكلة . وهذه الملاحظات تنقسم إلى قسمين : الأول هو ما يمكن أن نطلق عليه مجموعة الملاحظات أو مواضع الخلل في تركيبة التضامن العربى . أما الثانى فيضم مجموعة أخرى من الملاحظات التى تكشف عنها أزمة الخليج الأخيرة وهى :-

أولا : كلنا نعرف بالطبع أن الدول العربية تمتلك من مقومات الوحدة والتضامن ما يفوق كثيرا تلك التى تمتلكها أية مجموعة أخرى من دول العالم . منها على سبيل المثال : وحدة الدين واللغة والتراث ( الحضارى والثقافى والاجتماعى ) ، ومنها أيضا الامتداد الجغرافى والتاريخى والتجانس الفكرى والبيئى ، علاوة على صلات الرحم ووشائج القرى التى توثقت أواصرها عبر سنوات عديدة ضاربة في عمق التاريخ .

ومع ذلك نجد أن معظم دول العالم نجحت بشكل أو بآخر في بناء تكتلات اقتصادية وعسكرية وسياسية بالغة القوة ، في الوقت الذى لم تستطع جامعتنا أو مجموعتنا العربية تكريس أى شكل من أشكال الوحدة أو حتى مجرد ضبط إيقاع التعاون الحقيقى الثمر والفعال من خلال العمل المشترك الذى بدأ بشكله الرسمى منذ ما يقرب من نصف قرن بالصورة التى تحقق الآمال والتطلعات .

وليس من شك في أن لهذا الإخفاق أسبابا كثيرة منها ما يعرفه العامة من

أمثالتا ومنها ما لا يعرفه إلا المختصون من ذوى العلاقة . غير أننا قد نستطيع هنا تلمس بعض هذه الأسباب على النحو التالى :-

١ - يشتهر الإنسان العربى فى الأوساط العلمية والعالمية بطبيعته العاطفية الانفعالية التى تجعل صاحبها يجنح غالبا (ربما دون أن يدرى) إلى اتخاذ المواقف المتطرفة ، مثل الثقة الزائدة بغير حدود والتى قد لا يكون لها ما يبررها . وأيضا مثل العناد عند الغضب والاستثارة ، والذى قد يدفع صاحبه أحيانا إلى اتخاذ المواقف الانتحارية ...

ومع أن هذه قد تبدو صفات شخصية لا علاقة لها بموضوعنا هذا ، بل وكان يجب أن تكون كذلك . إلا أن الغريب فى الأمر والمؤسف أيضا أنها تشكل الأساس فى سلوكيات بعض الأطراف العربية ، ليس فقط على مستوى العلاقات الثنائية والخاصة ، بل وأيضا من خلال العمل المشترك فى الجامعة العربية . ولعلها كانت واحدة من أبرز الأسباب التى هيات لوقوع كارثة العدوان العراقى على الكويت .

٢ - هناك أيضا ظاهرة الخلط ( المتعمد وغير المتعمد ) وإساءة استغلال مشاعر الأخوة العربية المنطلقة من رغبة الغالبية من دولها وشعوبها فى الحفاظ على أى شكل من أشكال الوحدة والتضامن ولو فى حدتها الأدنى . إذ نجد أن بعض الأطراف ترى لنفسها مزايا وامتيازات لا تتوافر لغيرها . لذلك فهى لا تتقيد بالمعايير والضوابط المرعية عادة فى مثل هذه التجمعات الدولية ، سواء من حيث وجوب رضوخ الأقلية لرأى الأغلبية ، أو فيما يتعلق باحترام حق الآخرين فى الاختلاف معهم . وانما يرون أن آراءهم وتوجهاتهم ووجوب دعم تصرفاتهم ( التى قد لا تكون قائمة على أسس من العدالة والموضوعية ولا تستهدف المصلحة العامة ) هى القاعدة التى يتعين أن يلتزم بها الجميع .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان من الممكن احتمالاه ، وإن على مضض ، عملا بالقول المأثور بأن الخلاف لا يفسد للود قضية . غير إن المؤسف حقا أن هؤلاء الممتازين والمتميزين ، لا يحاولون إقناع من يخالفهم الرأى بالأساليب الأخلاقية المتحضرة ، وانما يلجأون إلى فرض آرائهم على غيرهم ( من أشقائهم العرب دون غيرهم ) بالتهديد والابتزاز والأساليب الغوغائية الرخيصة . بل وقد يصل بهم الأمر إلى حد الاستخدام الفعلى والمباشر للقوة المسلحة إذا كانت لديهم القدرة على ذلك ، أو تكليف المنظمات

الإرهابية التي يرفعونها للقيام بالمهمة نيابة عنهم ، أو الاكتفاء في أحسن الأحوال ، إذا آنسوا في أنفسهم عجزا عن استخدام القوة ، بشن حملات التشهير الإعلامية وتوجيه الاتهامات الكاذبة والسباب والمهاترات والتحريض والإسفاف المقزز ، الذي دعا أحد الزعماء العرب للإشارة إلى ذلك علنا وبمبرة في أكثر من خطاب له في الآونة الأخيرة .

٣ - نظام اتخاذ القرارات في الجامعة الذي يشترط الإجماع ، يشكل عقبة هائلة في طريق العمل العربي المشترك ويشل فاعليته تماما ، فلطالما استخدمت هذه القاعدة استخداما سيئا ومغرضاً وغير مستوول ، ربما عن عمد في بعض الحالات وربما تحت مشاعر الغضب والانفعال في حالات أخرى . ولكن النتيجة في كل الأحوال هي تعطيل إصدار بعض أهم القرارات وأكثرها حساسية وخطورة .

ثانيا : كشفت أزمة الخليج أيضا عن بعض مواطن الخلل التي وإن لم تكن جديدة تماما ، إلا أن الظروف والملابسات التي أحاطت بالأزمة جسدها ووضعتها تحت المجهر ، مثل :

#### ١ - أزمة العقل العربي :

هناك بلا شك أزمة تمثلت في إخفاق العمل العربي المشترك ، ممثلا في قصور جامعة الدول العربية عن فرض شخصيتها واحترام مبادئها وأهدافها على أعضائها بالصورة التي سمحت بأن تختلف الرؤى بينهم بمثل هذا الشكل المؤسف الذي رأيناه في أزمة الخليج وحول قضية بديهية مبدئية أخلاقية لم يختلف عليها في العالم سوى العرب وحدهم ...

ومن مظاهر هذه الأزمة أيضا ، ما يلاحظ من عجز بعض الأطراف العربية عن فهم حدود العلاقة بين مقتضيات العمل العربي المشترك والالتزام بأهدافه ، وبين الحرية الشخصية والعمل السيادي الاستقلالي لأي دولة أو مجموعة من الدول ( مثل دول الخليج ) وحققها في أن تدبر شئونها الخاصة وتحدد أطر علاقاتها الدولية على الوجه الذي تراه محققا لمصالحها طالما كان هذا في إطار المصلحة العامة أو لا يتعارض معها .

كذلك كان السلوك العراقي ممثلا في إقدامه على مثل هذه المغامرة البالغة الخطورة نتيجة لحسابات خاطئة وعجز تام عن التقدير السليم لموازن القوى

وفهم حقائق العصر . الأمر الذي أغرى القيادة العراقية بالتمادى في الصلف والغرور والعدا . وهذا واحد من أشكال أزمة العقل العربى .

## ٢ - أزمة الضمير العربى :

إن كلمة الضمير فى حد ذاتها تعبر عن مضمون شائع نتداوله قولاً وعملاً فى حياتنا اليومية . غير أننى رأيت من المستحسن ، بالنظر لما يلاحظ من أن المفاهيم بدأت تختلف حول مضمونه ، أن نستعرض هنا قبل التطرق لأزمة الضمير العربى ، وباختصار شديد ، التعريف اللغوى لهذا المصطلح حسب ماورد فى أنثر المعاجم العالمية شهرة وانتشاراً .

ففى دائرة المعارف البريطانية على سبيل المثال ، يعتبر الضمير « مصطلح فلسفى يستعمل شعبياً وفنياً فى مدلولاته المختلفة ، كرمز للملكة العقلية التى تساعد الإنسان على التمييز بين الحق والباطل » .

أما فى دائرة المعارف الأمريكية فقد ورد مصطلح الضمير على أنه « ملكة فطرية ، أو ملكة مغروسة ربانياً فى الإنسان لتساعد الفرد على إصدار أحكام سليمة فى القضايا المرتبطة بالأخلاق » .

وإذا كان لى شخصياً الحق فى أن أعبر عن المعنى الذى أفهمه من هذا المصطلح ، فإننى أقول « هو إطار الفكر والسلوك الإنسانى الذى رسمت حدوده ورسخت مفاهيمه فى أعماق النفس البشرية منذ سنوات تكوينها الأولى ، مجموعة من القيم المثالية والمعايير الأخلاقية الرفيعة . ويحدث الالتزام بها ذاتياً ودون أى رقابة أو تدخل من الخارج » .

إن المعنى الذى جسده العدوان العراقى على الكويت لا يقتصر فى الواقع على كونه مجرد انعكاس لحالة غباء سياسى أو قصور ذهنى أوصل القيادة العراقية إلى حسابات خاطئة فقط . بل إنه أيضاً يجسد أزمة الأخلاق والضمير التى سولت لقيادة شعب عريق ذى حضارة لها مكانتها فى التاريخ العربى والإسلامى ، أن تنحدر إلى هذا الدرك وترتكب مثل هذه الأعمال التى لا يمكن أن يقدم عليها إلا القتلة وقطاع الطرق الذين لا تحركهم سوى أكثر الغرائز انحطاطاً .

كذلك فإن الموقف المخزى الذى اتخذته بعض الدول والمنظمات والطوائف العربية والإسلامية ( حسب ما تقول أو تعتقد ) لمساندة جريمة



استنكرها وأدانها العالم كله ، ومحاولة التستر عليها بأكثر الأساليب خبثا ودهاء . ما هو إلا واحد من الوجوه القبيحة لأزمة الضمير العربى . . .

أما عملية استغلال الدين ، والجراة على توظيفه لخدمة الأغراض الشخصية والأهداف الباطلة من قبل بعض من يفترض أنهم رجال ، من دعاة الدين ومفسرى أحكامه ، فإن هذا بغير أدنى قدر من المبالغة يمثل قمة المأساة وأبشع أشكال أزمة الضمير على الإطلاق . ذلك لأن ضرر هذا العمل لا يقتصر على تسويغ الجريمة والتهوين من بشاعتها والتقليل من هول الدمار والتخريب والقتل والنهب والتعذيب وهتك الأعراض وانتهاك الحرمات واغتياك حقوق الأبرياء ، بل يمتد هذا الضرر إلى النيل من قدسية ومهابة الدين ويعمل على زعزعة مصداقيته فى قلوب المؤمنين .

ثالثا : وأخيرا فإن هناك بلا شك الكثير والكثير مما يمكن أن يقال إضافة إلى ما تقدم وما لا يتسع له المجال . غير أننى أود أن أبدي ملاحظتين ، قبل إنهاء الحديث ، أراهما هامتين على النحو التالى :-

١ - عند التصدى لمعالجة آثار هذه الأزمة ، وهو أمر لا شك فى أنه قائم حاليا ، أرجو أن يؤخذ بعين الاعتبار أن فجوة ثقة هائلة ومحنة شك حادة قد أصابت جدار التضامن العربى . وهو الأمر الذى سترتب عليه ضرورة الحذر وتحرى الدقة من جانب كل دولة حرصا على توفير أفضل الضمانات الكفيلة بصيانة أمنها الذاتى على أساس أن الخطر يمكن أن يأتيتها من حيث مأمنا ( فقد علمتنا التجربة ذلك والمؤمن لا يلدغ من حجر مرتين ) . ومع أن هذا الهدف يمكن تحقيقه عن طريق الأمن الجماعى بصورة أفضل ، إلا أن الحذر والاحتياط واجب والبعد عن الشعارات والعواطف والمجاملات والإخراج فى مثل هذه الأمور أكثر وجوبا . والحق لا يغضب إلا الساذج أوسىء النية والعياذ بالله .

٢ - على الرغم من أن الكثيرين يتصورون أن حشدا أكبر من الجنود وتكديسا أضخم من الأسلحة والمعدات الحديثة والمتطورة يشكل الضمان الأكيد لصيانة الأمن الذى نهى عنه ويبحث عنه كل إنسان . إلا أننى أرى أن هذا لا يوفر ضمانا على الإطلاق ، لأن من الممكن أن تدخل دول المنطقة فى سباق لا نهاية له فى هذا المضمار ما دامت تقنية السلاح فى تطور مستمر ، أو من الممكن أن تكون كذلك .

وأعتقد أن الأفضل من ذلك أن يتم تحقيق هذا الهدف عن طريق  
« الأمن السياسى »، بمعنى أن تتضافر الجهود (إذا حسنت النوايا) لحل  
مشاكل المنطقة المزمنة، ثم يتم الاتفاق بعد ذلك (أو حتى يفرض فرضاً) على  
نزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة، إذ ليس من المعقول أن تفعل هذا  
الدول العظمى المنتجة للسلاح أصلاً ولا تفعله الدول المستوردة له □

جريدة مصر

١٥

١

نعم مفهوم أفضل  
العلاقات العربية / العربية



## يحلو

للبعض أحيانا أن يصف العدوان العراقي على الكويت بأنه شبيه بسحابة صيف عبرت سماء المنطقة العربية فجأة وعن طريق الخطأ في ليلة مظلمة من ليالى أغسطس الحارة ، ثم مضت في سبيلها أو بددتها أشعة شمس الخليج الحارقة دون أن تخلف وراءها ظلا أو تترك أثرا للنساء .

أما البعض الآخر فيرى العدوان العراقي على أنه كان كابوسا ثقيلا من ذلك النوع الذى يغشى المرء عندما يخلد إلى النوم بمعدة ملأى بالطعام ، ولكنه على أى حال لا يخرج عن كونه حلما مزعجا لا يستحق أن نتوقف أمامه طويلا ( دهشة أو تأملا ) ، بل علينا أن نتجاهله ونتناساه ونسارع باستئناف حياتنا العادية من جديد كما استأنفناها دائما من قبل بصورة طبيعية وبنفس الأسلوب الذى ألفناه منذ مئات السنين .

والواقع أن مثل هذه الأوصاف والتشبيهات للعدوان العراقي على الكويت وآثاره ( والتي ربما كانت صادرة عن طيبة وحسن نية ، أو عن خبث ودهاء يخفى الرغبة فى صرف الانتباه عن شيء ما ، أو عن حكمة وبعد نظر ليس فى مقدور إنسان عادى مثلى إدراك كنههما ) ، تبدو لى غير منطقية .

إذ يلاحظ أنها تقوم على التبسيط الشديد للأمور بما يناقض الواقع ويصطدم مع المنطق . بل وقد يراه البعض إهانة للعقل عامة واستخفافا بالذكاء العرب خاصة .

ذلك أن العدوان العراقي ( في شكله ومضمونه كما في دوافعه ونتائجه التي كنا جميعا من شهودها ، وربما أيضا من ضحاياها ، وما زالت أصدائها ترن في آذاننا وصورها المؤلمة ماثلة أمام أعيننا حية في أذهاننا ) ، كان مأساة مروعة بكل المقاييس وحدثا بشعا بحجم الكارثة ترك آثارا نفسية ومادية تتضاءل بجانبها آثار الزلازل والبراكين التي قد تحدث أحيانا تغييرا شاملا وجذريا في البيئة المحيطة بها وأحيانا أخرى تزيل كل صور الحياة من على الأرض .

وإذا كان هناك من قد يجد لديه من الأسباب التي تدعوه لمجادلتي حول مدى دقة وموضوعية ما استخدمته من ألفاظ لوصف العدوان العراقي ، فلا أظن أن هناك أيضا من يستطيع إنكار أن العدوان أفرز واقعا في المنطقة يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي عرفته من قبل . ولعله يكفيننا هنا أن نذكر بعض ملامح ومعطيات الواقع الجديد هذا والمتمثلة في انهيار الثقة والمصادقية التي قامت عليها العلاقات الأخوية بين العرب لسنوات طويلة ، ثم هناك أيضا التواجد الدولي في المنطقة الذي حتمته ظروف العدوان وصلف المعتدى وعناده وشراسته في ظل اختلال لموازين القوى العسكرية في المنطقة ، وأخيرا وليس آخرا تلك الخسائر المادية والبشرية الجسيمة والخراب الاقتصادي الذي لحق بدول الخليج وفي مقدمتها العراق نفسه . . .

ومن هنا يمكن فهم الأسباب التي تدعون للقول بأنه ليس من المعقول ولا من المستساغ أن تبسط الأمور على هذا النحو الساذج ، سواء تحت ذرائع النوايا الطيبة وتسامح الأشقاء ، أو دعاوى الحكمة وبعد النظر التي تطالب بنسيان كل ما حدث واعتباره كأن لم يكن وتطبيق شعارات فتح الصفحات الجديدة وعدم النظر إلى الوراء وعفا الله عما سلف . . . إلخ .

غير أن لي ملاحظة لا بد من إيضاحها هنا ، وهي أن واحدا لا يستطيع ( عن قناعة وليس عن إكراه أو اضطرار ) أن يعترض على أهمية العمل العرب المشترك والحاجة الماسة إلى جمع الشمل من جديد . باعتبار أن هذا الطريق هو أملنا الوحيد وسبيلنا الذي لا بديل عنه لحفظ مصالحنا وصيانة حقوقنا وحررياتنا

واستقلالنا في عالم أصبح يتجه نحو التكتلات ولا يعبأ بالكيانات الصغيرة التي لا تمتلك القوة بأشكالها الثلاثة ، العسكرية والاقتصادية والسياسية .

أما الخلاف فينحصر في شكل هذا العمل المشترك فيما بعد العدوان العراقي الذي أصبح يمثل منعطفًا حادًا وخطيرًا في التاريخ العربي الحديث ، وكذا الأسس التي يجب أن يقوم عليها هذا العمل في ظل معطيات الواقع الجديد ، والتي لا بد ( في تقديري ) من أن تكون مختلفة بصورة عن تلك التي كانت عليها قبل العدوان .

غير أننا لكي نتعرف على ملامح هذا التغيير ، يتعين أن نحدد أولاً ماهية الظروف والأوضاع التي أدت إلى نشوء الحاجة إليه الآن . أو بعبارة أكثر وضوحاً الأوضاع التي أفسدت العلاقات العربية العربية وحالت دون تحقيق الطموحات المأمولة طوال الفترة الماضية من خلال وفي إطار الجامعة العربية . بل وقد يكون في مجرد التعرف على هذه الأوضاع ما يغنينا عن البحث عن ملامح التغيير المطلوب . ولكن هذا يقودنا بالضرورة إلى استعراض تاريخي مقتضب للجامعة العربية التي كانت ومازالت تمثل الإطار المتاح والوحيد للعمل العربي المشترك .

فلقد كانت الفكرة الأساسية المستهدفة من إنشاء الجامعة العربية أن تكون تجسيداً لآمالهم في تشكيل إطار يجمع شملهم ووسيلة تنظم صفوفهم وكياناً يرعى مصالحهم ويحفظ حقوقهم ويحقق أمنهم في مواجهة الهجمة الصهيونية من جانب وفي بمطالب التحرر والاستقلال من جانب آخر . وقامت الجامعة العربية فعلاً بصورة رسمية ، بإعلان ما يعرف ببروتكول الإسكندرية ( مكان الاجتماع التأسيسي الأول ) في عام ١٩٤٥ م ، بعضوية كل من : مصر والعراق وشرق الأردن وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن .

ولأن خمسا من الدول المذكورة المؤسسة للجامعة العربية ، كانت في ذلك الوقت إما خاضعة تماماً أو خارجة لتوها باستقلال غير كامل من تحت نير الاستعمار ، البريطاني بالنسبة لكل من مصر والعراق والأردن ، أو الفرنسي بالنسبة لكل من سوريا ولبنان فقد جاء ميثاق الجامعة مجسداً لحالة هذه الدول ومترجماً لما لديها من حساسية مفرطة تجاه الاستعمار وحرصها على تأكيد سيادتها واستقلالها .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكواحدة من عوامل الجذب والاستقطاب الدولي ، فقد نشطت حركة تصدير الأيديولوجيات الغربية إلى العالم العربي ، وبخاصة تلك التي كانت تأق من الاتحاد السوفيتي أو بدعم مباشر وغير مباشر منه .

ولأن تلك الأيديولوجيات كانت تقترن عادة بالشعارات البراقة التي تحمل الآمال الوردية في حياة رغدة وسعيدة من خلال الكفاية والعدل ، فقد كانت هذه الشعارات تحدث أحيانا تأثيرها السحري المخدر بدغدغة مشاعر الشعوب الفقيرة أو تلك التي كانت تناضل في سبيل الاستقلال أو حديثة العهد به والتي أنهكها الاحتلال واستنزفت قواها ومواردها معارك التحرير .

ومع أن تسويق هذه الأيديولوجيات في حقبة الخمسينيات صادف نجاحا ملموسا انعكس في ظهور قيادات وأنظمة ( غير تقليدية ) عرفت بالثورية ، بسبب ماكانت ترفعه من شعارات معادية للاستعمار والتعهد بالنضال ضده في كل أشكاله وفي أى مكان من العالم . وهو الأمر الذى أوجد خليطا غير متجانس من الأنظمة المكونة للجامعة العربية ، إلا أن العلاقات بين هذه الأنظمة ظلت مستقرة وهادئة نسبيا خلال تلك الحقبة ، وهو ما ترجمه التلاحم الفورى مع مصر عندما تعرضت للعدوان الثلاثى عام ٥٦ .

وفي حقبة الستينيات نشطت الأيديولوجية المستوردة بدرجة كبيرة وحققت أيضا مزيدا من المكاسب بدأ من خلالها الصراع بين محوري روسيا وأمريكا ينعكس بدوره على دول المنطقة ، وبخاصة تلك التي عجزت عن تجسيد شعاراتها أو تحقيق طموحاتها وآمال شعوبها في الرفاهية والتنمية والعدالة الاجتماعية .

وقد أدى ذلك إلى تكريس الاستقطاب والتشردم وتباعد السبل والأهداف بين دول المجموعة العربية . بل وأدى أيضا إلى قيام بعضها بمناوأة البعض الآخر في محاولات استفزازية ملحة لفرض آرائها وأيديولوجياتها وتعميم ارتباطاتها الدولية الخاصة . بل ووصل الأمر أيضا إلى حد أن بعضها خاض معارك ومغامرات عسكرية ، اما بإيعاز من إحدى القوى العظمى أو لحسابها ، وإما بهدف إلهاء الشعوب عن أحوالها الداخلية المتردية .

ففى عام ١٩٥٨ على سبيل المثال قام الرئيس كميل شمعون باستدعاء



المارينز ( القوات البحرية الأمريكية ) لحماية لبنان من الأضمار والتطلعات القومية العربية ( حسب ما كان يقال في ذلك الوقت ) ، كما استدعى الملك حسين القوات البريطانية لحمايته من موجة الوحدة العربية التي حاصرت الأردن من الشمال والجنوب ، واستنجدت تونس بالقوات الفرنسية كما اضطرت الكويت للاستعانة بالقوات البريطانية ( إلى جانب بعض القوات العربية ) لمساندتها في الوقوف في وجه أطماع القيادة العراقية التوسعية ( عبد الكريم قاسم ١٩٦١ ) عندما كانت تعد العدة لابتلاع الكويت في ذلك الوقت ولقد ظلت العلاقات العربية العربية تعاني الانشقاق والخصاص طوال تاريخها حتى لقد أصبح مجرد إنهاء اجتماعات الجامعة العربية يمثل ما بدأت به وبدون زيادة تعميق الخلاف فيما بينها ، هدفا وإنجازا يتمنى الجميع تحقيقه .

وبعد أن شهدت حقبة السبعينيات في بداياتها انتعاشا كبيرا للآمال في إحياء وتنشيط العمل العربي المشترك ، والذي تجسد بصورة رائعة من خلال ملحمة التضامن مع مصر وسوريا في حرب رمصان ( أكتوبر ١٩٧٣ ) . إلا أن العرس العربي لم يستمر طويلا كما هي العادة . إذ سرعان ما دب الخلاف حول سلامة قرار الدول المتحاربة قبول أو عدم قبول وقف إطلاق النار وترتيباته ، وهو الخلاف الذي ظل يتصاعد ويزداد عمقا واتساعا حتى انتهى بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد وأصبح الخلاف قطيعة انقسمت على إثرها الدول العربية بين مؤيد لموقف مصر ومعارض ، وتشكلت جبهة الصمود والتصدي التي ما لبثت أن واجهت بدورها عوامل التفكك بعد دخول العراق حربه الطويلة مع إيران تم باجتياح إسرائيل لجنوب لبنان . كما انقسمت الدول العربية مرة أخرى حول تأييد طرفي الحرب العراقية الإيرانية .

وفي نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات استمر الوضع السياسي على ما هو عليه . ولكن يسجل لبعض القوى العربية المؤثرة سعيها الدائم لجمع الشمل وتخفيف حدة الخلافات وإزالة أسباب الخصومات في العالم العربي وإنهاء أشكال الصراعات التي كانت تجسد عوامل الفرقة بين العديد من الأطراف العربية . ويمكن أن نخص بالذكر هنا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، الذي حظيت الساحة العربية بأكبر قدر من جهوده ومساعيه الخيرة ، مثل مساعيه الموفقة لإنهاء الصراع الجزائري المغربي حول قضية الصحراء ، وإنهاء الصراع اللبناني اللبناني من خلال مؤتمر الطائف ،

وتسوية النزاع الذى نشأ بين قطر والبحرين وآخر بين سوريا والأردن ، وغيرها كثير .

ولقد نجحت بعض تلك الجهود فى إعطاء النصف الثانى من حقبة الثمانينيات نوعا من الهدوء والاستقرار فى العلاقات العربية العربية ، كما شهدت هذه الحقبة مولد عدد من نماذج الوحدة والتعاون العربى مثل : مجلس التعاون الخليجى ، ومجلس التعاون العربى ، والاتحاد المغاربى لدول المغرب العربى ، وشهدت كذلك عودة مصر إلى الجامعة العربية .

ونظرا لأن المجال لا يمكن أن يتسع لكل ما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع ، مهما حاولت الاختصار والإيجاز . لذا فإننى سوف أتوقف عند هذا الحد ، على وعد بأن أستكمل الحديث لإيضاح الرسالة التى أود إيصالها للقارئ فى أقرب فرصة ممكنة بحول الله □

نحو مفهوم أفضل  
العلاقات العربية/العربية



في

الجزء السابق من هذا الحديث تعرضت لعدد من القضايا الهامة التي فجرها العدوان العراقي على الكويت في الثاني من أغسطس الماضي ١٩٩٠ م ، وألمحت خلال ذلك العرض الموجز إلى بعض آثار العدوان وانعكاساته على مجمل الأوضاع في المنطقة وعلى أكثر من صعيد عربي وإسلامي ودولي وإقليمي .

ولكى نتصور هول الكارثة التي أطلقنا عليها حيناً « أزمة الخليج الثانية » وحيناً آخر « العدوان العراقي على الكويت » ، يكفي أن نتذكر هنا بأنه على الرغم من نجاح قوى التحالف الدولي في تهجير العدوان وحصره مكاناً في رقعة صغيرة محدودة من الأرض لا تتجاوز مساحة العراق والكويت وحدهما ، وقصره زماناً على سبعة أشهر بما فيها معركة تحرير الكويت نفسها والتي لم تستغرق أكثر من ستة أسابيع انتهت بدحر المعتدى في السابع والعشرين من فبراير ١٩٩١ م . إلا أن الدمار المادي والمعنوي الذي خلفه العدوان ( باستثناء الخسائر البشرية التي عملت قوى التحالف على تقليصها لأدنى حد ممكن ) لا يقل بحال عما خلفته أي من الحريين العالميتين ، الأولى أو الثانية .

ومع أن الآثار السلبية للعدوان على الساحة العربية بالذات كانت وخيمة جداً ومتعددة الجوانب . إلا أنني أفضل التركيز هنا على ثلاثة منها فقط لسببين : الأول ، لأنها تجسد المعنى المراد إيضاحه بصورة أفضل من غيرها . والثاني ، لكي يساعدنا الاختصار على سرعة التوصل إلى رؤية واضحة لما يجب عمله للحد من مضاعفات العدوان وإزالة آثاره إذا كان ذلك ممكناً . وهذه الآثار هي :

١ - انهيار عنصر الثقة والمصداقية الذي يعد من أهم ركائز العلاقات الدولية عامة والعربية خاصة . لا سيما بعد أن تعرضت بفعل العدوان وأذياله سوءات كثيرة كانت مستترة خلف شعارات الأخوة والتضامن ووحدة المصير . . إلخ .

٢ - التواجد الدولي الكثيف بكل أشكاله في المنطقة .

٣ - الخسائر المادية الفادحة والدمار الاقتصادي الذي أصاب معظم دول المنطقة ، سوف يتطلب وقتاً طويلاً لمعالجة آثاره الوخيمة التي لا تقتصر على الدول التي أصيبت بها وحدها وإنما سيتماد ضررها حتماً إلى دول كانت تستفيد من مساعداتها الإنسانية .

ونتيجة لهذه المتغيرات الدرامية وغيرها ، أصبح لدينا واقع جديد محدد الملامح لا يستطيع أحد أياً كان ، سواء بحكم موقعه كمستشعر أو باحث أو مؤرخ ، أن يتصدى لأوضاع المنطقة بالرصد والتحليل دون أن يأخذ في بؤرة الاعتبار هذا الواقع الجديد ويجعله حجر الأساس في معالجته . ولكن الشيء الذي لا يحتمل الخلاف هنا هو أن عملية إعادة بناء العلاقات العربية/العربية من جديد أو حتى مجرد ترميم هذه العلاقات ، أصبحت أمراً - وإن يكن غير مستحيل تماماً - إلا أنه بالغ الصعوبة ( على الأقل في الوقت الحاضر ، وإلى أن تندمل الجراح العميقة التي خلفها العدوان ) .

وعلى الرغم من ذلك ، فإنني ما زلت عند قناعتي بأن التضامن العربي ليس ترفاً نستطيع أن نقبله أو نرفضه لتقلب أحوالنا المزاجية . بل إنه خيار وحيد وضرورة تفرضها ظروف ومقتضيات المصلحة القومية والوطنية على حد سواء ، في عالم ينحوي بشدة نحو التكتل ويركض بسرعة في اتجاه تشكيل التجمعات السياسية والاقتصادية والعسكرية . وبصورة تؤكد أنه لن يكون

هناك متسع في المستقبل القريب للكيانات الصغيرة أو اعتباراً للأداء الدولي المنفرد ، مهما كانت قوة أو براعة صاحبه .

غير أن هذا لا يعنى في نفس الوقت أن نسارع بالانضمام إلى مواكب المزايدين على الشعارات المملة والبلهاء ، مثل « طى صفحات الماضي » و « فتح صفحات جديدة » و « عفا الله عما سلف » . إلخ . بل علينا أن نكون أكثر جدية وأكثر وعياً وأكثر عقلانية عما كنا من قبل . وألا يساورنا الشك في أنه لن يكون بمقدورنا أن نعيد بناء العلاقات العربية/العربية بصورة عملية فعالة ، ما لم نحرص على إقامة هذا البناء على أسس خالية تماماً من سلبيات الماضي تناسب المرحلة وتنسجم مع حقائق الواقع الدولي المعاصر . وعلى أن يكون في مقدمة هذه الأسس موضوعية المعالجة والمصارحة التامة والنقد الذاتى .

وأنا هنا لا أتحدث فقط عن ميثاق الجامعة العربية الذى صيغ ( كما سبق وأن أشرت ) تحت تأثير ظروف واعتبارات معينة وفي ظل أوضاع دولية وإقليمية لم يعد لها وجود في وقتنا الحاضر . بل أقصد ما يعنيه مفهوم الأخوة والتضامن عند عدد من الشعوب والحكومات العربية . فالبعض على سبيل المثال لا يعرف ، بل وربما لا يروقه أن يعرف ، أن هناك خطوطاً واضحة وقواصل محددة بين حقوق الأخوة المكتسبة في إطار العمل العربى المشترك ، وبين الضوابط المفترض مراعاتها واحترامها في إطار العلاقات القائمة بين الدول العربية ، بحسابها دولاً مستقلة ذات سيادة ، لها كامل الحق في إدارة شئونها والتصرف في مقدراتها واختيار أنظمتها السياسية والاقتصادية وتحديد ارتباطاتها الخارجية بملء حريتها وبما تراه محققاً لمصالحها من كافة الجوانب القانونية والإنسانية والأخلاقية والحضارية .

فنحن عندما ننظر بإمعان إلى العدوان العراقى في ضوء ظروفه وملابساته وما تكشف عنه من خبايا أو أسفر عنه من نتائج ، فسوف نجد أنه لم يكن سبباً بحد ذاته بقدر ما كان نتيجة لتراكمات ورواسب أفرزتها علاقات غير سليمة قامت أصلاً على أسس واهية اختلطت فيها الدوافع الموضوعية للتجمعات والتنظيمات الدولية بالعواطف ومؤثرات الظروف الآنية ومشاعر الخصوصية العربية .

ولو طرحنا سؤالاً هنا حول : ( من أين واتت القيادة العراقية هذه

الجرأة التي سولت لها الإقدام على غزو دولة مستقلة تتمتع بعضوية جميع الهيئات والمنظمات الدولية ، وبكل هذه الشراسة والتبجح ، في عالم اختفت منه تماما ، ومنذ زمن بعيد كل أشكال الفوضى والقرصنة ؟ . . ذلك الغزو الذي استنكره الرأي العام العالمي بكل مستوياته الشعبية والرسمية ( فيما عدا بعض الدول العربية ) . . باعتباره عملا همجيا بربريا غير أخلاقي وأسلوبا غير مقبول لتحقيق الأطماع المالية أو الجغرافية أو حسم المشاكل الحدودية أو حل الخلافات السياسية والاقتصادية .

هذا مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أن العراق ليس من تلك الدول المعروفة بالاعتیاد على تسوية خلافاتها عن طريق القوة وبمثل هذا الأسلوب الفظ العنيف ، حتى مع أولئك الذين تحرشوا به وأهانوه أمام العالم كله عندما دمروا له مفاعله النووي بدون أن يبدر منه أى عمل استفزازى مسبق ، بل ولا حتى رد فعل لاحق ولو على مستوى ما يفعله الصبية الفلسطينيون في مواجهة جنود اسرائيل .

وحتى لو وجدنا من يقدم الإجابة عن السؤال السابق ، فهل نجد أيضا من يفسر لنا أسباب البطش والعنف الذي مارسته القوات العراقية في الكويت . وهذا القدر المبالغ فيه من القسوة والوحشية ضد شعب يقل تعداده كاملا ( أى بما في ذلك رجاله ونساؤه وشيوخه وأطفاله وأصحائه ومرضاه ) عن تعداد القوات العراقية التي جاءت لاحتلاله والتنكيل به ، وأيضا عن أسباب ذلك الانحطاط الدنيء الذي هبط بشرف الجندية العراقية إلى مستوى جعلها موضع ازدراء الرأي العام العالمي واحتقاره ؟ .

إننى في الواقع أطرح تساؤلات هذه وأنا مدرك سلفا استحالة العثور على إجابتها إذا ما حاولنا الحصول على مثل هذه الإجابة عن طريق القياس والتحليل المنطقي . أما إذا بحثنا عنها في إطار مفهوم العراق لمعنى الأخوة والتضامن العربى ، فسوف تصبح الإجابة سهلة وميسورة . ذلك أن كل قادة العراق ، بدون استثناء بدءا من عبد الكريم قاسم وانتهاء بصدام حسين ، تسلطت على رءوسهم رغبة مجنونة بالاستيلاء على الكويت منذ ظهور البترول في أراضيها . إلى جانب تطلعات عراقية قديمة للسيطرة على منافذها البحرية على الخليج . لذلك كان التضامن العربى في نظر أولئك الحكام هو المفتاح السحري لتحقيق كل أهدافهم والطريق الآمن للاقتراب من هدفهم دون



إثارة الانتباه . آخذين بعين الاعتبار أن العالم لن يهتم كثيرا بمن يتعامل معهم من ( أفراد الأسرة ) مادام سيضمن الحصول على ما يحتاجه ، وهو البترول .

كما يمكن فهم هذا المعنى بصورة أفضل وأكثر وضوحاً ، إذا علمنا أنه لم يكن هناك من بين حكام الأمة العربية كلها ( خلال السنوات السابقة مباشرة على العدوان ) من تحدث بإسهاب وحرارة وحماس عن واجبات الأخوة العربية وموجبات التضامن العربى والتزامات حسن الجوار وضرورات توافر الثقة والطمأنينة والإحساس بالأمن في كنف الأمة العربية والأسرة العربية الواحدة ، بأكثر من الرئيس العراقى نفسه . .

ومع أن حديثى هذا لم يكن مقصودا به أصلا الاستفاضة في عرض وتحليل العدوان العراقى بحد ذاته ، وإنما كان الهدف هو إبراز بعض نتائج ذلك العدوان وانعكاساته على حاضر ومستقبل العالم العربى والعلاقات العربية/العربية التى كانت في تصورى من أبرز ضحاياه . إلا أن القارئ لابد وأن يكون قد لاحظ من خلال تطبيقات العراق لشعارات القومية العربية وفهمه للتضامن العربى ، علاقة التشابه القوية والواضحة بين هذا النموذج العراقى ونماذج أخرى في عالمنا العربى الذى يزخر بأكثر من عراق واحد وأيضا أكثر من كويت .

ويرجع هذا في تقديرى إلى سوء فهم البعض لطبيعة وأهداف العمل العربى المشترك . ومع ذلك فإننى لا أعتزم تقديم حصر شامل للسلبات والمآخذ التى أدت إلى تجميد نشاط الجامعة العربية والحد من فاعليتها لما يقرب من نصف قرن حتى الآن . أولا لأن هذا فوق طاقتى ، وثانيا لأنه من شأن أصحاب الاختصاص الذين لست واحداً منهم . غير أننى أكتفى فقط بالتنبيه ، مع التأكيد بأن هناك خللا خطيرا يتعين معالجته بصراحة جذرية قبل النظر في إعادة العلاقات العربية . وإذا جاز لى أن أسجل هنا ( بعض ) ملاحظات الخاصة وما أراه من مواضع الخلل وأعراضه الملموسة ، فهى على النحو التالى :-

أولا : لم ألس طوال حياتى وجود نظرة موحدة أو مفهوم واضح مطلق لفكرة القومية العربية والتضامن العربى . والشائع أن هذه الفكرة استقرت في

أذهان البعض على أسس عاطفية وجدانية أكثر منها عقلانية منطقية . وقد يكون من الدلائل المؤيدة لهذه النظرية ، ما رأيناه من أن الرئيس العراقي ( الذي تسبب بعدوانه في كل ما حل بالأمة العربية من مصائب ) لم يتورع عن رفع شعارات القومية العربية والأخوة والتضامن العربى ، تبريرا لاجتياحه وابتلاعه لبلد عربى . بل والأكثر من ذلك أنه وجد لدعواه صدى واستجابة من بعض ( الأشقاء ) الذين خرجت جماهيرهم تبارك عمله وتهتف قائلة « إلى الأمام يا صدام . إلى الأمام يا صدام » .

وبالمناسبة ، فإن فكرة القومية العربية هذه ليست فكرة عربية الأصل وليست من تراثنا السياسى والحضارى فى شىء ، وإنما هى فكرة مستوردة من التاريخ السياسى الأوروبى واستخدمت لإثارة الحماس وإلهاب المشاعر . ومع أن أوروبا نفسها تخلت عن هذه الفكرة منذ وقت طويل ، فقد ظل أكثرنا متشبثا بها على الرغم من أن لدينا فى هويتنا العربية والإسلامية ما يغنيها عنها .

ثانيا : كما سبق وأن ذكرت وذكر العديد من الكتاب والمفكرين ، من أن ميثاق الجامعة العربية كان قيداً يكبل العمل العربى المشترك ويمنعها من الحركة بصورة إيجابية مثمرة نحو تحقيق الآمال والتطلعات التى أنشئت من أجلها . ولست بحاجة هنا بالطبع لإعادة التذكير بأن هذا الميثاق وضع فى ظروف معينة لم يعد لها وجود فى وقتنا الحاضر .

ثالثا : من الشعارات التى رفعها الرئيس العراقى ، تبريرا لجريمة اغتصابه للكويت والتى نالت تأييد ومباركة العديد من الشعوب العربية ، خاصة تلك التى كانت تنعم بالقسط الأوفى من مساعدات دول الخليج وتتمتع بأكبر قدر من رعايتها . ذلك الذى ادعى فيه أن من أهداف غزوه للكويت « إعادة توزيع الثروة ( العربية ) توزيعا عادلا » . وهذا بالطبع إضافة لتحرير فلسطين .

ومبعث المرارة والألم هنا أن بعض الدول العربية ، بما فى ذلك مثقفوها ، ينظرون فعلا إلى هذا الموضوع على أساس أن لدولهم حقوقا فى عوائد النفط لدول الخليج . باعتبار أن هذه العوائد تمثل « الثروة العربية » التى استأثرت بها دول الخليج ولم توزعها على مستحقيها توزيعا عادلا . . . ولا أدرى أين كان الرئيس العراقى والمهملون له يصنفون العراق بين الفريقين ؟ ، وإن كنت

على ثقة تامة بأن الرئيس العراقي كان يدرك أنه برفعه لهذا الشعار سوف يلهب حماس وخيال الكثيرين من « أصحاب الحقوق المغتصبة » .

ولعله كان من الأجدر بهؤلاء ، قبل أن يصدقوا هذه الشعارات الخادعة ويتطلعوا إلى خارج حدودهم ، أن يسألوا أنفسهم أولا عما قدمته لهم حكوماتهم من خلالها غير الفقر والحرمان وزرع الحقد والكراهية تجاه بعضهم البعض وتجاه إخوانهم من الشعوب الأخرى . بل ولعله كان كافيا أن يسألوا أنفسهم عما فعله ( المصلح ، الذى خاض الحرب من أجلهم ضد الشرعية الدولية ) ، وهل حقق العدالة بين مواطني أنفسهم وهم الأولى برعايته واهتمامه ، خاصة وأنهم يملكون من خلال ما تملكه بلادهم من ثروات نفطية هائلة بالإضافة إلى العديد من الموارد الطبيعية كالمياه العذبة والأراضي الزراعية والقوى البشرية وغيرها ما لاتحلم به كل دول الخليج مجتمعة ؟ ...

أما فيما يتعلق بالدور الذى لعبته دول الخليج فى هذا المجال ، وبالذات المملكة العربية السعودية . فسوف أكتفى بالاستشهاد هنا بإحدى فقرات الخطاب الذى وجهه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وسمو ولى العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز خلال استقبالهما لضيوف المملكة من حجاج بيت الله الحرام لهذا العام ١٤١١ هـ والتي جاء فيها :

« وهناك من ينادون بتوزيع الثروات ومساواة الغنى بالفقر ويومنون إلى المملكة تصرّيحاً وتلميحاً بالتقصير فى هذا المجال . . . ولئن كان المقصود بما ينادون به ما جاءت به تعاليم الشريعة الإسلامية ، فالمملكة قد أوفت هذا الجانب بأضعاف ما ورد فى النصوص الإسلامية . وإن كان القصد هو التكافل والتعاضد وإسعاد المحروم وإغاثة الملهوف ، فالمملكة أوفت أيضاً بهذا الجانب على أكمل وجه » .

« وليتهم يفعلون ما فعلته المملكة فى مواطن البذل والعطاء منذ أن أفاء الله عليها من نعمه . فلقد أنفقت المملكة العربية السعودية فى مختلف مجالات الخير من دخلها آلاف المليارات ووقفت إلى جانب العديد من الدول النامية والدول الشقيقة مواقف الأخوة المخلصة دون من أو أذى . وشاركت الكثيرين فى الضراء سراً وعلانية . وبادرت إلى تخفيف آلام المنكوبين والمصابين من جراء النوازل فى مختلف الأقطار انطلاقاً من قناعتها الذاتية بأداء الواجب الذى تمليه روابط الأخوة الإسلامية وامثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . .

رابعاً : أما الملاحظة التي أنهى بها هذا الحديث ، فهي أسلوب التعامل بين الدول العربية . حيث يلاحظ أن هذا الأسلوب يتميز بخصوصية غربية تضع خلافاً للحدود والفواصل بين السلوكيات القبلية الفجة وضوابط العلاقات الدولية المتحضرة . إذ نجد أن تصرفات بعض الأنظمة تجاه بعضها الآخر تتسم بقدر كبير من الحدة والعصبية والانفعال السريع وردود الأفعال المتشنجة .

كذلك هناك الذين يحملون اختلافات الآخرين معهم في الرأي أو استقلالهم في القرار فوق ما تحتمل . إذ سرعان ما يتخذون المواقف العدائية والعدوانية في صورة حملات إعلامية ضارية وإهارية قد تصل في بعض الأحيان إلى حد التآمر على حياة الزعماء أنفسهم . وهذا هو ما حدث بالضبط مع سمو أمير الكويت وحده مرتين ، إحداهما قبل عدة سنوات والثانية خلال العدوان العراقي الأخير ، حيث تبين أن حياته شخصياً وحياة كل أفراد أسرته كانت الهدف الأول في المراحل المبكرة من العدوان .

وأنا هنا مقر بعجزى الفعل عن معرفة أسباب هذه الظاهرة التي ينفرد بها العالم العربي وعدم استطاعتي سبر أغوارها التاريخية التي قد تكون من اختصاص علماء النفس أو علماء الاجتماع أو حتى علماء أصل الأنواع . غير أن الأمر الذي لا جدال فيه . هو أنها ظاهرة بالغة الخطورة ولا يمكن إقامة علاقات جادة ومثمرة دون استئصالها استئصالاً جذرياً ، خاصة إذا علمنا أنها ظاهرة عربية خالصة ولا تستخدم إلا في محيط الأسرة العربية وبين الأصدقاء فقط دون غيرهم من عباد الله .

وفي خاتمة حديثي ، لا أجد تعبيراً يلخص مضمون كل ما جاء به ويجسد المعنى الذي أردت إيصاله إلى القارئ ، خيراً مما ورد في سياق إجابة لخدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عن سؤال لمجلة الحوادث خلال لقاء صحفى أجرته المجلة معه مؤخراً . وكان السؤال هو : هل تأملون في عودة الصفاء إلى صفوف الأمة العربية في إطار الجامعة العربية ؟ . وكانت الاجابة على الوجه التالي : « أتمنى ذلك حتماً ، ولكن على أسس وقواعد صادقة وجادة . ويجب أن يكون دعاء هذا الشعار من المخلصين الصادقين فيما يقولون ، وأن يكون التصاق نابعا من القلوب لا من أطراف الشفاه . ويجب أن يكون هناك جدية تقضى بأن تدين الأكثرية بقوة من يسىء إلى الآخرين وتردعه ، وإلا فلامعنى لبذل أى جهد في هذا الاتجاه » □

الحمد لله

١٧

المفسدون في الأرض ومتى  
كان سلاحهم هذا دواعي الحرب



### مثل

الكثيرين ممن تستهويهم متابعة حركة الأحداث على الساحة الدولية بصفة عامة ويولون اهتماما خاصا لما قد يقع من هذه الأحداث في منطقتنا العربية والمناطق الملاصقة لها ، كنت قد ظننت أن العدوان العراقي الآثم على الكويت ، والذي وقع في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ م قد انتهى تماما بانتهاء عملية طرد المعتدى وتسليم الكويت لأصحابها الشرعيين ( فبراير/مارس ١٩٩١ ) .

كما كنت قد ظننت أيضا أنه لم يبق من ذلك الحوادث المفجع سوى ذكرياته المؤلمة ووصمة العار التي سيظل تاريخنا العربي والإسلامي يعاني حرجا من آثارها السلبية لوقت طويل ، إلى جانب ما خلفه من دمار سوف يتطلب من أجيالنا الحالية أن تنفق الكثير من الجهد المستمر بالصبر والعزم لسنوات طويلة قادمة قبل أن تتمكن من محو آثاره ، ومن الأجيال القادمة أن تستوعب الدرس وتستنبط العبر التي انطوى عليها لكي تتخذ من الاحتياطات ما هو كفيل بالحيلولة دون تعرضها لمثل هذه الكارثة مستقبلا .

غير أن ما جرت به الأحداث وتناقضاته الأنباء مؤخرا ، أثبت أن ظننى هذا كان خاطئا وأننى كنت قد بالغت فى التفاؤل بأكثر مما ينبغى ، ذلك أن لجان التفيتش الدولية التى أوفدتها الأمانة العامة للأمم المتحدة ومازالت توفدها تباعا حتى الآن لتنفيذ قرارات مجلس الأمن القاضية بتجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل ( النووية والكيمياوية والجرثومية ) ، قد كشفت عن عدة حقائق ذات مغزى بالغ الخطورة أهمها على وجه التحديد اثنتان هما :

١- أن النظام العراقى مستمر فى ممارسة الكذب والغش والخداع ومحاولات التضليل فيما يتعلق بالكشف عن مخابىء الأسلحة وأماكن تصنيعها . ولقد استنتج الخبراء من ذلك أن النظام العراقى ما يزال مصرا على مواصلة تنفيذ مخططاته العدوانية . وهو الأمر الذى لا يمكن معه الوثوق بقدرة ذلك النظام على الوفاء بوعوده وتعهداته سواء فى الحاضر أو فى المستقبل .

٢- أن ما تم الاعتراف به من جانب النظام العراقى أو ما تم التعرف عليه مباشرة بواسطة الدول الأخرى عبر وسائلها الخاصة حول كمية ونوعية أسلحة الدمار الشامل التى يمتلكها العراق أو تلك التى مازال يعمل على امتلاكها ، لا يمثل فى الواقع أكثر من النسبة التى يمكن للعين المجردة أن تراها من جبل الجليد . وهو الأمر الذى يعزز ( فى رأى هؤلاء الخبراء ) نفس المفهوم الذى توصلوا إليه فى الحقيقة الأولى ، ألا وهو توافر سوء النية وانعدام الثقة فى مصداقية النظام العراقى تماما ، علاوة على ما يشكله هذا النظام من خطورة على الأمن والسلام الدوليين .

وهكذا يتبين لنا بوضوح أن العدوان العراقى لم تنته فصوله بعد ، بل وقد لا تنتهى فى وقت قريب . إذ مازال الخطر ماثلا ومجسدا فى روح التربص الواضحة التى تنم عن الرغبة فى الانتقام . ولعل من دواعى السخرية هنا أن يكون الجانب المتربص والساعى للانتقام ليس هو الجانب المتضرر والمعتدى عليه ( كما هو المتصور حسب ما يقتضيه منطق الأمور ) ، بل إنه الجانب المعتدى نفسه . . .

وهذا يذكرنا بما كان يطلقه المراقبون والعديد من المحللين خلال أزمة العدوان العراقى على الكويت من تشبيهات ومقارنات بين صدام حسين وهتلر . ولعلمهم كانوا محقين تماما فى التنبيه إلى وجود أوجه شبه عديدة بين



الشخصيتين ، حيث من المعروف أيضا أن هتلر ظل يتربص ويعد العدة ويجند الجند ويكدس الأسلحة حتى اكتمل استعداداه وملأه الشعور بالقوة والتفوق ، وعندئذ لم يتردد لحظة في اشعال فتيل الحرب العالمية الثانية ( ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ) ، مدفوعا بمشاعر الحقد والكراهية والرغبة المجنونة في الانتقام لهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) . وليس من شك في أن معظم القراء ، الذين عاصروا منهم تلك الحرب أو الذين لم يعاصروها ، يعرفون بشكل أو بآخر ، ما سببه ذلك المحتوه من خراب ودمار ، ليس لشعبه فقط ، وإنما لبقية شعوب العالم كله . ويكفى أن نذكر هنا أن عدد القتلى والجرحى والمشوهين من جراء تلك الحرب ، ( والتي تعتبر بدائية إذا ما قيست بإمكانيات وأسلحة وقتنا الحاضر ) قُدر بأكثر من عشرين مليونا من البشر . . .

ولكنني أود قبل الاستطراد في هذا الحديث ، أن أستعرض ملاحظة استباقية تتعلق بمضمون الحديث والغرض منه ، قبل أن يخطيء البعض فهم مقصودي أو يعتمد ( أحدهم كالعادة ) تفسيره بصورة ملتوية ليتهمني بالكراهية والشماتة في إحدى الدول ( الشقيقة ) ، باعتبار أن الحديث يحمل ضمنا معنى التأييد ، أو التعاطف مع وجهة النظر الدولية القائلة بأن ( النظام ) العراقى الحالى ، أثبت بالدليل المادى والقاطع ، أنه نظام شرير عدوانى وغير مؤتمن على حياة أسلحة الدمار الشامل . وذلك لأنه نظام غير مسئول وعاجز عن ممارسة ضبط النفس والتحكم فى سلوكياته والسيطرة على أفعاله ، ومن ثم فإن من صالح أمن واستقرار الدول المجاورة له ومن صالح الأمن والسلام الدولى ، تجريده تماما من مثل هذه الأسلحة الخطرة ، حتى لا يشكل بؤرة للتوتر الدائم ومصدرا للقلق والاضطراب فى هذه المنطقة وفى بقية مناطق العالم الأخرى .

إن مثل هذا الرأى عادة ما يجد فى الوجدان العربى تفسيرين مختلفين : أولهما تفسير عقلانى منطقى يرى أن له ما يبرره من واقع التجربة العملية والبرهان ، من أن فى خوض النظام العراقى حربا لا داعى لها لمدة ثمانى سنوات متصلة ، ثم قيامه بعدوان لا يبرره عقل أو منطق ولم يردعه وازع من خلق أو ضمير على جارته الكويت ومحاولته ابتلاع هذه الدولة العضو فى هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية . جاهلا أو متجاهلا أن مثل

هذا الأسلوب من القرصنة الدولية ربما كان مقبولا في عصور سابقة. ولكنه لا يمكن قبوله أو التسامح إزاءه في عصرنا الحاضر ، وأيضا لتحديه الفج للشرعية والتحالف الدولي .

أما التفسير الثانى فيرى ( جهلا ، أو خبثا فى معظم الأحيان ) أنه لا يجوز تحت أى مبرر ( . . . ) أن يتخذ شخص عربى أو دولة عربية موقفا مساندا أو قرارا مؤيدا لوجهة النظر القائلة بحرمان أى بلد عربى ( وهو فى حالتنا هذه بالطبع العراق ) من امتلاك الأسلحة التى يمكن أن تعدل موازين القوى المائلة بشدة إلى جانب إسرائيل وتعتبر طريقنا الوحيد لاسترداد حقوقنا واستعادة كرامتنا المهذرة . خاصة وأن إسرائيل نفسها تمتلك مثل هذه الأسلحة منذ زمن غير قصير .

والذى لا يعرفنا يأخذه العجب وتتملكه الدهشة لمثل هذا الحكم الذى يخلط بين الواقع والخيال ( الواقع ممثلا فى امتلاك العراق فعلا لأسلحة الدمار الشامل ، والخيال فى استخدام هذه الأسلحة لتعديل موازين القوى بيننا وبين إسرائيل وتسخيرها فى استعادة الحقوق واسترداد الكرامة ) ، وهو ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك عجز صاحبه عن رؤية الأمور بصورتها الحقيقية وحجمها الطبيعى كما هى فى الواقع لا كما هى فى خياله أو كما يتمنى لها أن تكون . . أما أولئك الذين يعرفوننا جيدا فإنهم لا يجدون فى الأمر ما يثير العجب أو يبعث على الدهشة ، باعتبار أن هذا هو أسلوبنا فى التفكير ومنهجنا فى التحاور ( خاصة حول الأمور المشتركة بيننا ) .

ومن هنا كانت ملاحظتى الاستباقية هذه والتى وددت من خلالها القول بأننا لن نحقق على وجه التأكد لا الظن - خطوة واحدة على طريق التفاهم الأخوى أو التعاون العربى والتطور الفكرى والسياسى والاقتصادى والحضارى بوجه عام ، مالم نقلع عن الخلط بين الواقع والخيال ونتعلم كيف نجعل حركتنا أفعالا وليست مجرد ردود أفعال ، وآراءنا قائمة على أسس عقلية منطقية لا عاطفية انفعالية . ولن يتأتى لنا هذا بالطبع إلا إذا اتسمت محاوراتنا ومناقشاتنا حول أمورنا الهامة والمشاركة بالجدية والصراحة والموضوعية . بل وقبل كل ذلك بالقدرة على ممارسة النقد الذاتى والاعتراف بأننا نصيب ونخطئ مثل غيرنا ، ولكن المهم أن تكون لدينا الشجاعة للاعتراف بأخطائنا ومن ثم الاستعداد لمواجهتها وإصلاحها .

وهكذا نستطيع العودة لمناقشة موضوع تجريد العراق من أسلحته النووية والكيميائية والجراثومية انطلاقاً من هذا المفهوم . وليكن ذلك من خلال الاجابة عن سؤال علمي يطرح نفسه هنا بالاحاح هو . هل من الممكن أن نحصل على نتائج إيجابية لمعادلة رياضية أو كيميائية أو فيزيائية إذا كانت معطياتها الأولى أو مقدماتها خاطئة ؟ . أعتقد أن الإجابة لا بد وأن تكون بالنفى . وكذلك فإن معادلة تحقيق القوة العربية لا تكون صحيحة إذا لم تكن المقدمات التي قامت عليها صحيحة هي الأخرى .

ومن المعلوم أن معادلة القوة العربية التي يتعين علينا دعمها ومساندتها ( وتمثلها في حديثنا هذا القوة العراقية والأسلحة العراقية ) تقوم على أساس أن هذه القوة تشكل الدرع الذي يحمي أراضينا ويدافع عن مصالحنا ويصون كرامتنا واستقلالنا ويدعم حريتنا ويجعل لإسرائيل تفكر ألف مرة قبل أن تتماذى في عدوانها علينا حتى يتوفر لنا الأمن والاستقرار اللذان لتنفيذ برامجنا للتنمية والتقدم . ولقد كان هذا هو أساس ما قمنا به فعلاً من واجب تجاه العراق عندما قدمنا له كل عون مستطاع أثناء بنائه لهذه القوة وكذلك فعلت الكويت . بل ولقد ذهبنا إلى أبعد من ذلك كثيراً عندما قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووي العراقي ووقف النظام العراقي عاجزاً بغير حيلة فأعلنت المملكة على لسان قائدها خادم الحرمين الشريفين استعداد المملكة لتحمل نفقات إعادة بناء المفاعل من جديد . ولم يكن هذا الالتزام العلني وأمام العالم كله مادياً فقط وإنما كان التزاماً أدبياً ومعنوياً أيضاً يهدف إلى إشعار القاصي والداني بأن العراق لن يكون وحده في مواجهة أى عدوان يستهدفه .

إذن فلا بد وأن نسأل أنفسنا هنا أولاً عن مدى انطباق هذه الشروط ، أو هذا الافتراض ، على معادلة القوة العراقية والسلاح العراقي . أو بمعنى آخر أكثر وضوحاً وأكثر تحديداً ، هل استخدم النظام العراقي قوته الهائلة هذه وزخم أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها لدعم ومعاونة العالم العربي ضد العدوان الشرس للأمة العربية ؟ وهل هناك من سمع بأن النظام العراقي خاض ( منفرداً أو مشتركاً مع غيره ) حرباً أو حتى معركة واحدة بقصد تحرير فلسطين أو إجبار إسرائيل على تخفيف حدة ممارساتها غير الإنسانية ضد شباب الانتفاضة ، أو لإرغامها على الذهاب لمؤتمر السلام أو قبول أى من

الحلول السلمية العديدة المعروضة عليها من كل الجهات وبجميع الصيغ  
ومختلف اللغات ؟ . .

إن الأجابة بالنفي على هذا السؤال تكفى بحد ذاتها لاثبات خطأ  
الفرضية الأساسية لمعادلة القوة العراقية ، حيث لا يستطيع أحد بالطبع سواء  
فى عالما العربى أو فى أى مكان آخر فى العالم كله ، الادعاء بأن السلاح  
العراقى كان يوما فى خدمة القضايا العربية المعاصرة أو مدافعا عنها . ومن  
ثم يسقط الطرف الثانى فى المعادلة والذى يرتب للنظام العراقى حقا فى أن  
نقف بجانبه ونظايره فى الدفاع عن سلاحه .

وإذا انتقلنا إلى الحقيقة الثانية والقائلة بأن السلاح العراقى لم يكن  
فقط محايدا بالنسبة للقضايا والمصالح العربية ، وإنما كان حربيا عليها معتديا  
وغاصبا وطامعا بالشكل الذى رأيناه ولمستناه خلال عملية محاولته ابتلاع  
الكويت وممارسته شتى أشكال البلطجة والتهديد بالاجتياح لبقية دول الخليج  
العربية . فهنا نجد أن المعادلة قد انقلبت رأسا على عقب ، بحيث أصبح  
الأمن العربى واقعا تحت تهديد مباشر من السلاح العراقى بدلا من أن يكون  
فى حمايته .

وهكذا يكون قد أصبح واضحا لنا أنه يكون ضربا من البلاهة والخبل  
أن ندافع عن بقاء السلاح الذى أنزل بأمنا واستقرارنا واقتصادنا وسمعتنا من  
الأضرار ما لم تنزله بنا أى قوة أخرى فى المنطقة أوحتى فى العالم كله .  
وذلك بغض النظر طبعا عما يدعيه المفرضون والمضللون ومحترفو تزييف  
الحقائق ( من سياسيين أو إعلاميين ) . فكما يقول مثلنا الشعبى ما يحس  
بالجمرة إلا واطيها □

وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

## محتويات الكتاب

### صفحة

- كابوس الخميس الأسود واللاعبون بالنار ... ٩
- تشريح سياسى لجريمة العصر ... ٢١
- الاعلام الأسود والاحتلال العراقى للكويت ... ٣١
- الصحافة والحصانة والوقت الملائم ... ٣٩
- خواطر اللحظات الحاسمة ... ٤٧
- نعم ، كيف حسبها صدام ، ولماذا ؟ ... ٥٧
- الخيار الأخير ... ٦٥
- جنون القوة ، وقوة الجنون ... ٧٥
- المأساة فى صور ... ٨٣
- ويفترون على الله الكذب ... ٩٩
- العدوان والجهد الضائع ... ١٠٩
- جزى الله الشدائد كل خير ... ١١٥
- التضليل الاعلامى .. دستورا ... ١٢٣
- ومن الاعلام ماقتل ... ١٢٩
- حتى لانبنى قلاعا من رمال ... ١٣٩
- نحو مفهوم أفضل للعلاقات العربية/العربية ... ١٤٩
- نحو مفهوم أفضل للعلاقات العربية/العربية ... ١٥٧
- المفسدون فى الأرض ومتى كان سلاحهم هذا درعا للعرب .. ١٦٧
- المحتويات ... ١٧٥

رقم الابداع بدار الكتب  
١٩٩١ / ٨٢٨٠

مطابع الأهرام بكونزيس النيل





## المؤلف

الاسم : فؤاد عبد السلام محمد شريف الفارسي  
تاريخ ومحل الميلاد : جدة - في ١٣٦٦ هـ - (١٩٤٦ م)  
التعليم والمؤهلات العلمية :

- حصل على ليسانس الحقوق من جامعة بيروت العربية عام ١٩٦٨ م
- حصل على ماجستير في العلوم السياسية من جامعة بورتلاند عام ١٩٧١ م
- حصل على ماجستير ثانية من جامعة ديوك/نورث كارولينا عام ١٩٧٥ م
- حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة ديوك عام ١٩٧٦ م

العمل والوظائف الرسمية :

- في عام ١٩٧١ م عين مدرسا بقسم العلوم السياسية - كلية التجارة/جامعة الرياض ، وكان ذلك بعد حصوله على الماجستير الأولى ، وقد استمر هذا العمل لمدة عام واحد عاد بعده إلى الولايا المتحدة للتحضير للماجستير الثانية .
- في عام ١٩٧٦ م ، وعقب حصوله على درجة الدكتوراه . أعيد تعيينه بجامعة الرياض كأستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية - كلية التجارة . واستمر هذا العمل لمدة عام واحد أيضا .
- في عام ١٩٧٧ م تم تعيينه وكيلا مساعدا لوزارة الإعلام - للشئون الإعلامية
- في عام ١٩٧٩ م نقل إلى وزارة الصناعة والكهرباء ، وكيلا للوزارة لشئون الصناعة .
- في عام ١٩٨٤ م أعيد إلى وزارة الإعلام ، وكيلا للوزارة للشئون الإعلامية ومازال مستمرا في هذا العمل حتى الآن .

الإنتاج الفكري :

- ١ - من مؤلفاته المنشورة باللغة الانجليزية :  
المملكة العربية السعودية - دراسة مقارنة في التنمية Saudi Arabia : A Case study In development وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب للمرة الرابعة في بداية عام ١٩٨٧ م
- ٢ - الاصاله والمعاصره : المعادله السعوديه  
Modernit and Tradition,  
The Saudi Equation  
طبع في لندن  
الناشر : Kegan Paul International London and New York

٣ - ومن مؤلفاته المنشورة باللغة العربية :

- ( أ ) قضايا سياسية معاصرة
- ( ب ) الإعلام والصراع العالئ
- ( ج ) في السياسة والإعلام وقضايا اخرى
- من إصدارات تهامة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- من إصدارات تهامة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- من إصدارات تهامة ١٤١٠ - ١٤١١ هـ